

إمارة العصفوريين ودورها السياسي

العصفوريون وقصة ١٥٠ عاماً

الظروف الطبيعية بالبحرین تخلق

البيئة البحرية بجزر أوال ولدت طبقة مد

ان مما يثير دهشة وحيرة المتتبع لتاريخ شبه الجزيرة العربية ذلك الغموض الذي يكتنف حقبة من تاريخ المنطقة الممتدة من كاظمة شمالاً لتنتهي جنوباً بعمان الشمالى ويدخل ضمن ذلك سلسلة من الجزر الواطئة والواقعة في الخليج العربى والمجاورة للساحل والمحاطة ببحر ضحل مملوء بالحواجز الرملية وقد استقرت في قاعه اشهر مغاصات اللؤلؤ الطبيعى في العالم من حيث الجودة والانتاج ، واكبرها حجماً واوسعها شهرة جزيرة اوال (البحرين) .

اما النهايات الغربية لهذه الرقعة الجغرافية ، المعنية بالبحث فتتصل باليمامة . لقد تعارف البلدان يون العرب

في تاريخ شرق الجزيرة العربية فأرضه في تاريخ البحرين برية مسفرة للقبائل الراحلة من البوادي لسكان لها ثقلها في الحياة الاقتصادية

بمقام الدكتور : عبد اللطيف ناصر المحميدان

الأوائل على إطلاق اسم بلاد البحرين على هذه الرقعة ، وهي بهذا الاتساع والامتداد تشمل في الوقت الحاضر دول شرق الجزيرة العربية كافة ، ابتداء بالكويت وانتهاء بعمان الشمالى . فتاريخ بلاد البحرين هو في الواقع يشكل جزءاً رئيساً وهاماً من تاريخ دول شرق الجزيرة العربية كافة .

ان هذا الاتساع والامتداد لبلاد البحرين وعدم وجود موانع طبيعية تفصلها عما يحيط بها ويجاورها ويصعب اجتيازها ، قد ادى الى ارتباط تاريخها ارتباطا عضويا وثيقا بتلك المناطق عبر العصور المختلفة . وهذه الحقيقة تستلزم من الباحث المدقق الذى يحاول التصدىق لاماطة اللثام عن الغموض الذى يكتنف تاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصا وتاريخ الخليج العربى عموما بان لا يكتفى بمصادر واحداث المنطقة وحدها بل عليه ان يجول بناظره نحو المناطق المجاورة ليستوعب احداثها وينقب فى مصادرها الخاصة والعامة .

والواقع فان منطقة الخليج العربى ليس اصطلاحا جغرافيا يدل على رقعة محدودة من سطح الارض فحسب وانما يشير كذلك الى لون معين من الحياة ، فهى تغرى الباحث فى التاريخ الحضارى بدراستها كمنطقة متحدة داخليا ، اذ انه بالرغم من المؤثرات الخارجية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تعرضت لها عبر العصور فانها كانت بوتقة انصهرت فيها هذه المؤثرات المتنوعة وبقيت تمتلك وحدتها الداخلية فى البناء والتنظيم ، فموجات الهجرات البشرية المتبادلة بين سواحلها من جهة ، وكذلك فيما بينها وبين السواحل المحيطة بالبحار العربية والتى كانت تجرى تحت ضغط الظروف الطبيعية والحاجات البشرية المتبادلة هى من عوامل وحدتها . وبالرغم من وجود المغريات لدراسة الخليج العربى كوحدة فان هناك اعتبارات اجتماعية وتاريخية وسياسية تدعو الباحث لابرار خصوصيات الدور الذى لعبه كل جزء من اجزائها عبر مختلف العصور وبشكل متميز .

ان بحثنا هذا ما هو فى الواقع الا الحلقة الاولى من سلسلة دراسات تتناول تاريخ الخليج العربى فى العصر الوسيط والحديث ، وسوف

يكرس لابرار الصورة المميزة لتاريخ بلاد البحرين للفترة الممتدة منذ مطلع القرن الحادى عشر حتى مطلع القرن السادس عشر ، وهى من اشد فترات المنطقة غموضا الامر الذى حمل الباحث النجدى سليمان الدخيل على القول بانه يشكل على المؤرخين الوقوف على حوادثها ووقائعها فى أوقاتها ^(١) . ومع بروز الاهمية الاقليمية والدولية لمنطقة الخليج العربى فى عصرنا الحاضر وظهور الكيانات السياسية المستقلة فيها ، ازداد الاهتمام بتاريخ المنطقة واخذت تظهر دراسات عديدة وبلغات مختلفة الا ان الباحثين قد اجموا حتى الآن عن ارتياد هذه الفترة او انهم مروا بها مرورا عابرا لسبب رئيسى هو قلة مصادرها ان لم تكن ندرتها ولادراكهم ايضا مدى الجهد المضنى الذى يحتاجونه لجمع شتات المادة المتناثرة هنا وهناك والنقاط الاشارات من المصادر النادرة وبلغات متعددة . ولقد عبر الاستاذ ابو حاكمه عن اسفه لعزوف الباحثين عن محاولة الكشف عن تاريخ الخليج العربى خلال العصور السابقة لعصرنا هذا ووصف دراساتهم التى ظهرت حتى الآن بانها دراسات عصرية لا تتجاوز « عصر النفط » الا قليلا ^(٢) . ان هذه الفجوة فى معلوماتنا عن تاريخ الخليج العربى تشكل نقطة ضعف كثيرا ما استغلت للتشكيك بالهوية القومية والتاريخية للسواحل العربية ولترديد ادعاءات سياسية وقومية فيها ، كما رسمت صورة تاريخية للمنطقة بنيت اساسا على تجاهل دور العرب فى صنع احداثها لكى ينسجم ذلك ومثل هذه الادعاءات وعلى الرغم من ان مثل هذه الادعاءات قد خفت الى حد كبير فان اثارها الثقافية لا تزال باقية ، الامر الذى يستلزم التصدى بموضوعية لرسم صورة اقرب الى وقائع التاريخ لتتجاوز الصورة المنحازة التى رسمت لتاريخها ^(٣) .

توطئة في السمات العامة

لبلاد البحرين

قبل التطرق لتاريخ بلاد البحرين خلال الفترة المنوه عنها سابقا ، يستحسن ان نشير ولو اشارة موجزة جدا الى المظاهر العامة لبيئتها الطبيعية والتي اثرت اعماق الاثر في حياتها وطبعت تاريخها السياسى والاجتماعى والاقتصادى بطابعها ، واول هذه المظاهر سعة رقعتها الزراعية بالمقارنة مع كثير من مناطق جزيرة العرب ، حيث تتوفر فيها المياه الغزيرة والعيون التى تجرى مياهها على سطح الارض . اضافة الى قرب مياهها الباطنية من سطح الأرض ، وهذا العامل ساعد على امتداد الرقعة الزراعية فيها والتى كانت في العصور الماضية أكثر اتساعا مما هى عليه اليوم . ويستدل على ذلك اولا من كثرة اسماء القرى والمستوطنات المأهولة بالسكان والتى اورد ذكرها البلدانون العرب ، الا ان كثيرا منها قد اختفى من خارطة الاقليم في الوقت الحاضر ، وثانيا ان الابحاث الحديثة قد ايدت ايضا اتساع الرقعة الزراعية في الماضي (٤) .

لقد وفرت هذه الظروف الطبيعية المستلزمات الضرورية لقيام حياة مستقرة تعتمد على الفعاليات الزراعية وسد الطلب على المنتجات الزراعية لكل من سكان البوادي واسواق الخليج العربى ، بل وتصدير ما يفيض عن ذلك وخصوصا التمر الى السواحل المطلة على البحار العربية والمحيط الهندى .

ان هذه البيئة الزراعية قد فرضت وجود نشاط اقتصادى ذى اوجه متعددة وقيام علاقات انتاجية وتركيب اجتماعى في المنطقة يختلف كثير من خصائصه عما حوله من بوادى . ففى مثل هذه البيئة يفترض سعى سكانها لاقامة سلطة تعمل على توفير الامن والنظام وحمايتهم من خطر سكان البوادي المتربصين دائما

بالمنطقة ، وكذلك الاشراف على توزيع المياه وحماية مصادرها من الاندثار وتنظيم العلاقة بين المستثمرين والمنتجين ووجه النشاطات الاقتصادية الاخرى ، وكل ما ينشأ عنها من علاقات اجتماعية وقانونية ، الامر الذى يستلزم وجود اجهزة متخصصة وقوة رادعة . ان السلطة التى تقوم في مناطق الاستقرار من بلاد البحرين سوف يكون من اهدافها الاستراتيجية الثابتة التطلع لتحقيق صلة وثيقة بالبيئتين المجاورتين ، وهما البيئة الصحراوية ، والبيئة البحرية ، وان تسعى لاقامة هذه الصلة اما بطريق الاخضاع المباشر او باقامة التحالفات القائمة على اساس المنافع المشتركة .

وكثيرا ما ينشأ عن ذلك حرب مع سكان هاتين البيئتين . ان نجاحها في ذلك سوف يحقق ربط طرق التجارة البحرية بطرق التجارة البرية ، الامر الذى ينتج عنه نفع اقتصادى كبير لمناطق الارياف ويحقق الاستقرار السياسى والاقتصادى فيها والنقطة الاخيرة والجديرة بالاشارة هنا هى ان سكان المناطق الزراعية نظرا لارتباطهم بالارض وبالممتلكات الثابتة هم اطوع للحكام واسهل خضوعا للسلطة بل واستغلالا من قبلها ومن قبل طبقة الملاكين ، وهذا على عكس الحال في البيئتين المجاورتين البحرية والصحراوية .

اما المظهر الثانى لبلاد البحرين فهو البيئة البحرية ، اذ ان طول سواحلها الممتدة على الخليج العربى وكثرة تعاريجها ادى لان يلعب سكانها دورا مؤثرا في كافة اوجه النشاط التى تحدث في المنطقة كما انها اصبحت من المناطق التى تستقبل التأثيرات من خارج حدودها عن طريق سواحلها وجزرها . ونظرا لكون المناخ والبيئة الصحراوية هى السائدة في بلاد البحرين فان الامر قد ادى لأن تصبح بيئة طاردة لسكانها نحو البيئة البحرية المجاورة والتى هى اكثر غنى وضمانا فيما تظه من ثروة

سمكية في مياهها ومن لؤلؤ في أعماقها ومن فرص للربح في النشاط التجاري مع الخارج ، وما هو جدير بالذكر هنا ان النشاط الاقتصادي لسكان السواحل والجزر في حرفتى صيد الاسماك واستخراج اللؤلؤ يتزامن مع النشاط الاقتصادي لسكان الارياف في بلاد البحرين في جنى محصول التمر . على ان هناك وجه شبه بين حياة سكان البيئة البحرية والبيئة الصحراوية فاذا كان البدو ينتقلون مع قطعانهم من مكان الى اخر طلبا للماء والكلا فان عرب السواحل والجزر ينتقلون هم ايضا من مكان الى اخر عندما تضطربهم الظروف الى ذلك ووسيلتهم هى سفنهم التى يحملون فيها اهم ممتلكاتهم . فالسفينة لديهم كوسيلة للحياة في عالم البحار تحتل نفس الاهمية التى تحتلها الابل لدى البدو . فاذا كانت الطبيعة قد سخت على عرب البادية بهذا الحيوان العجيب الذى اطلق عليه جوازا بسفينة الصحراء ، فان المعارف البحرية المتميزة لعرب السواحل قد هدتهم لصنع السفن الشراعية وتطويرها بما يتناسب وحاجاتهم في النشاط البحرى فطبعوها بطابعهم وحققوا لهم بذلك امتدادا جغرافيا وبشريا وحضاريا يفوق كثيرا رقعتهم الجغرافية . فكانت استجاباتهم لتحدى الطبيعة البحرية استجابة مناسبة جدا ، تنم عن عبقرية فذة بالمقاييس الحضارية لعصرهم فاكسبتهم بذلك تفوقا متميزا في النشاط البحرى ولقرون طويلة جدا (٥) .

ان البيئة البحرية لبلاد البحرين قد ولدت طبقة من السكان لها ثقلها في الحياة الاقتصادية والسياسية ، لا يجوز للباحث في تاريخ المنطقة اغفالها كما انها افرزت زعامات تعتمد في مراكزها على قوتها الاقتصادية الناتجة عن سيطرتهم على قطاعات واسعة وهامة من النشاط الاقتصادي وهؤلاء هم تجار اللؤلؤ واصحاب السفن ويسندهم عدد كبير من الاتباع الذين يدينون لهم بالولاء نتيجة لتبعيةهم الاقتصادية

لهذه الزعامات وهؤلاء صيادو الاسماك واللؤلؤ والعاملون في السفن التجارية .

ان هذه القوة المنتجة اقتصاديا تشكل في الواقع قوة عسكرية احتياطية كثيرا ما زجها هؤلاء الزعماء في صراعاتهم السياسية ، فكثير من الاحداث التاريخية التى مرت بها منطقة الخليج عبر عصورها المختلفة لا يمكن فهمها فهما سليما من دون الانتباه الى الدور الذى لعبته هذه القوى في صنع الاحداث في المنطقة . اما المظهر الثالث والاخير للبيئة الطبيعية لبلاد البحرين والتى لها التأثير الاعمق فهى البيئة الصحراوية السائدة في الاقليم والتى فرضت نمطا من الحياة الاجتماعية ، هى الحياة القبلية والتى طبعت التاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى للمنطقة بطابعها حتى العصر الحديث ، مما حدا بأحد المتخصصين بمنطقة الخليج العربى الى القول بان من الخطأ ان نعزو الخلافات حول الحدود في شرق الجزيرة العربية الى سبب رئيسى هو اكتشاف النفط بل يجب الانتباه الى عامل اخر لا يقل عنه خطورة يسبق اكتشاف النفط الا وهو الطبيعة القبلية للمجتمع العربى في المنطقة وما يتمسك به من مفاهيم حول حدود السيادة الاقليمية والمستمدة من تراثه القبلى (٦) .

ان الظاهرة الرئيسية للبيئة الصحراوية هى فقرها وعجزها عن سد احتياجات سكانها خصوصا عندما تتزايد اعدادهم ويحدق نقص خطير في مراعى القبائل لذا فهى بيئة طاردة نحو المناطق الاكثر غنى من بلاد البحرين وهى البيئة البحرية والبيئة الزراعية الامر الذى يعرض هاتين المنطقتين دائما لضغط سكان البادية وتوغلهم فيها ويزداد توغلهم كلما احسوا بضعف السلطة السياسية في هاتين المنطقتين . ويميل قسم منهم الى الاستقرار ولقد اوضحت دراسة بارث عن البداوة ان الذين يميلون الى الاستقرار من بين البدو هم الاكثر

استقرار بنى عامر في البحرين

يلاحظ الدارس لتاريخ الخلافة العباسية في فترة ضعفها ان القوى القبلية قد اخذت تلعب ادوارا سياسية رئيسية ضمن مناطق مختلفة من العراق والجزيرتين العربية والفراتية بحيث لا يمكن للباحث تجاهلها .

وقد نجحت بعض هذه القوى القبلية في تكوين كيانات سياسية خاصة بها كالحمدانيين وبنى عقيل وبنى اسد والمنفق وخفاجة ، الا انه بظهور الوصاية السلجوقية على الخلافة العباسية اخذت هذه الكيانات تختفى من خارطة السياسية الواحدة بعد الاخرى .

ومع نهاية القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد ومطلع القرن السابع/الثالث عشر كانت خارطة القوى القبلية المؤثرة في الحياة السياسية قد تغيرت عما كانت عليه في السابق . ويورد لنا القلقشندي (ت ١٤١٨/٨٢٨) خارطة للتوزيع القبلي في حدود النصف الاول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر للميلاد معتمدا فيما يورده من معلومات عن هذه القبائل في هذه الفترة وما بعدها على مؤلفين متأخرين لمعلوماتهم اهمية خاصة .

ومن ابرز هؤلاء ابن سعيد المغربي (ت ١٢٨٥/٦٨٥) والحمداني المعروف بابن زماخ المتوفى في مطلع ق ١٤/٨ ، وابن فضل الله العمري (ت ١٣٤٨/٧٤٩) واخيرا ابن خلدون (ت ١٤٠٥/٨٠٨) . والذى يهمننا من هذه المعلومات هو ما يتعلق منها ببلاد البحرين . ان روايات هؤلاء جميعا تكاد ان تتفق تمام الاتفاق على ان القبيلة التي كانت تمتلك زمام السلطة السياسية خلال القرنين السابع والثامن/الثالث عشر والرابع عشر في كل من البحرين واليمامة هي قبيلة بنى عامر بن عقيل . فمن هم بنو عامر وما هو دورهم في الاحداث

غنى وكذلك الاكثر فقرا (٧) .

على ان الافراد الذين لهم ثقلهم بين القبائل - بالرغم من استقرارهم وامتلاكهم الاراضى - فانهم يبقون على صلة بقبيلتهم ويحافظون على نفوذهم فيها ، وهم بذلك يشكلون همزة وصل ما بين البدو والسكان المستقرين وما بين القبيلة ومناطق الاستقرار ، وربما يكون استقرار بعض زعماء القبائل بتشجيع من السلطة القائمة في المدن . واستقرار هؤلاء هو في الواقع اضعاف لهذه السلطة لانهم سوف يكونون جاهزين للعمل كوسطاء مع قبائلهم .

والنقطة الاخيرة التي يجب ذكرها هنا في العلاقة ما بين سكان البادية والسكان المستقرين هو ان عرب البادية في بلاد البحرين يسيطرون دائما على طرق القوافل التجارية البرية والتي تبدأ عادة او تنتهى بالموانئ الواقعة على ساحل الخليج العربي . لذا فهم كثيرا ما يحاولون السيطرة على هذه الموانئ التجارية ليمدوا منها سيطرتهم ايضا على الطرق البحرية فتقوم حالة من التعايش ما بين طرق القوافل البرية والطرق البحرية وما بين البدو الذين يسيطرون على الطرق البرية وسكان السواحل والجزر في الخليج العربي الذين يديرون الطرق البحرية .

من هذا ندرك ان القوى القبلية كانت تلعب ادوارا خطيرة كلما سمحت لها الظروف العامة بذلك .

والواقع فان التفاعل ما بين البداوة والاستقرار وما بين القبيلة والدولة يمثل احد المظاهر الاساسية لتاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصا وتاريخ الوطن العربي عموما . ان هذه السمات البارزة للبيئة في بلاد البحرين وما افرزته من نتائج قد اوردها توطئة تساعدنا على تفهم اكثر الوقائع التي سوف نتعرض اليها في الصفحات اللاحقة .

قبل هذا التاريخ وبعده ؟ للإجابة على هذا السؤال سوف نعود القهقري بضعة قرون الى الوراء لنستعرض جوانب من تاريخ بلاد البحرين بما له من علاقة ببني عامر .

تجمع المصادر على ان بني عامر ينتسبون الى بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من العدنانيين ، وان بطون بني عقيل المشهورة هم بنو عبادة وبنو المنتفق وبنو خفاجة وبنو عامر .

وكان العراق وبلاد البحرين احد المواطن الرئيسية التي استقرت بها هذه البطون ، بعد ان غادرت موطنها في نجد ، وقد لعبت هذه البطون ادوارا مهمة في هذين الاقليمين ، وكثيرا ما اطلق اسم بني عقيل على بطن او اكثر من هذه البطون ، الامر الذي يثير بعض الاشكال للباحثين في التمييز بين الفرع والاصل وهذا ما يحدث كثيرا عندما يشار لبني عامر في البحرين ببني عقيل . ويبدو ان ذلك راجع الى تجاورها في المسكن واختلاطها بعضها ببعض^(٨) .

ان من الاجدى عند دراسة القبائل ان نميز ما بين الاتحادات القبلية وبين زعامة هذا الاتحاد اذ ان بعض العشائر والبطون والافخاذ كثيرا ما ترتبط بهذا الاتحاد او تفصل عنه تحت ضغط الظروف السياسية والطبيعية والاجتماعية .

وفي الحقيقة فان اسم بطون بني عقيل قد ارتبط ببلاد البحرين منذ ان انتقلوا اليها من مواطنهم في اواخر القرن الثالث/التاسع على رأي رنز^(٩)، حيث عاشوا جنبا الى جنب مع قبائل كثيرة مثل بكر بن وائل وتميم وعبد القيس وبني سليم ، وكان ابرز هذه القبائل القبيلتين الاخيرتين^(١٠) .

ان ترتيب الاحداث يشير الى ان بطون بني عقيل عندما غادرت مواطنها الاصلية في نجد استقرت في البحرين حيث كانت هذه البلاد تحكم من قبل القرامطة ، او انهم انتقلوا اليها

مع ظهور حركة القرامطة بعد ان تحالفوا معهم . فابن الاثير يذكر في حوادث سنة ٢٨٦/٨٩٩ ان ابا سعيد الجنابي مؤسس دولة قرامطة البحرين قد لقي مؤازرة وتأييد بعض القبائل ذكر منها عقيل عامر ، والى هذه المؤازرة يعود نجاحه . اما ابن خلدون فيروى انه عندما قامت فتنة القرامطة بالبحرين صار كل بني سليم والكثير من بني عقيل حلفاء وجنود لابي طاهر سليمان ابن ابي سعيد الجنابي الذي خلف اياه في حكم قرامطة البحرين في حدود عام ٣٠٣/٩١٥ . كما انه قال في موضع اخر بان القرامطة كانوا يستنجدون بعرب البحرين على اعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم^(١١) .

والواقع ان هجمات قرامطة البحرين المتكررة على عمان وبلاد الشام وارياف العراق خلال القسم الاكبر من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي^(١٢)، يمكن اعتبارها من بعض الوجوه هجرات قبلية رافقها تسلل واستقرار بعض بطون بني عقيل في هذه المناطق .

فالروايات المتواترة تشير الى ظهور نشاط بني عقيل في حدود هذا التاريخ . فبنو خفاجة كانوا قد استقروا في خلال هذا القرن على اطراف الفرات الاوسط حيث تصاعد نشاطهم الى درجة كبيرة في القرون اللاحقة^(١٣) . يضاف الى ذلك ظهور نشاط المنتفق بجوار البصرة بقيادة زعيمهم الاصفر^(١٤) اعتبارا من عام ٣٧٨ ، اما بنو عبادة وبنو مالك من بطون عقيل ، فان ابن خلدون يعزو تكوين دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة في حدود عام ٣٨٠/٩٩٠ الى هذين الفرعين بعد ان استطاعوا انتزاع هذه المناطق من اسرة بني حمدان من قبيلة بني تغلب الا انه بعد القضاء على دولتهم في الموصل عام ٤٨٩/١٠٩٦ عادت هذه البطون او على الاقل الغالبية العظمى منهم الى جنوب العراق حيث استقروا ما بين البصرة واسط والكوفة ، فعاشت عبادة متجاورة في المسكن مع بني

المنتفق^(١٥).

وبماتبة النشاط القبلي الذي كان يرافق نشاط قرامطة البحرين نجد ان بنى هلال بن عامر بن صعصعة وبنى سليم قد استقر قسم منهما في بلاد الشام ضمن دائرة النفوذ القرمطي هناك . الا انه بعد ان استطاع المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ - ٩٥٣ - ٧٥) انتزاع بلاد الشام من القرامطة ، قام بنقل اتباعهم من بنى هلال وسليم وانزلهم ببلاد الصعيد^(١٦).

اما مصير القسم الاكبر من بنى سليم في بلاد البحرين ، فانه بعد ضعف قرامطة البحرين وارتضاء قبضتهم على البلاد خلال القرن الخامس / الحادى عشر ، اتحدت عبد القيس مع بنى عامر احد بطون عقيل ضد بنى سليم واخرجوهم من البحرين ومعهم قسم من بنى المنتفق (الخلط) فغادروها الى افريقيا (تونس)^(١٧).

ان ابن خلدون حينما يتابع نشاط بطون عقيل المختلفة ، يمتاز عن القلقشندى بدقة نسبية في التمييز بين هذه البطون فهو يذكر انه بعد نزوح سليم والمنتفق (الخلط) الى افريقيا ، بقيت في جهات بلاد البحرين سائر بنى عقيل ، الى ان استطاع احد بطونهم وهم بنو عامر اخوة المنتفق ان يتغلبوا على بنى ابي الحسين^(١٨) (العيونيون) وينتزعوا الملك منهم في بلاد البحرين وعمان .

بقي ان نضيف ملاحظة اخيرة الى ما ذكره ابن خلدون من ان بنى عامر يعيشون الى الجنوب من البصرة الى جوار اخوتهم المنتفق^(١٩) ، فانه قصد بذلك بأن مساكنهم تمتد من جنوب البصرة حتى البحرين ، وقد استندنا في ذلك الى ما اورده سابقا من نصوص والى ما سوف نورده حول مواطن بنى عامر . كما انه من الممكن ان نشير ايضا الى عدم وجود تعارض بين ما ذكره ابن خلدون هنا من ان مواطن المنتفق في

البصرة هي الى جوار بنى عامر وبين ما ذكره في موضع اخر من ان بنى المنتفق قد انتقلوا الى افريقيا (تونس) وعرفوا هناك بالخلط . اذ ان ابن خلدون قد قصد بذلك الى ان قسما من المنتفق قد انتقل الى افريقيا اما القسم الاكبر فقد استقر بجهات البصرة وقد بقوا في هذه الاماكن دون تغيير كبير حتى العصور الحديثة . والواقع ان بطون بنى عقيل وعلى وجه التخصيص المنتفق وعامر والذان امتدت ديارهما من البصرة حتى اليمامة وعمان كانوا متداخلين فيما بينهم وكان طبيعيا ان تقوم بينهم صلات التعاون والتناحر على حد سواء .

ان هذا التقارب في الاصل والموطن هو الذى حمل البعض على ان يطلق اسم احد البطون على الاخرى او ان يستعمل اسما جامعا لكافة هذه الفروع في هذا الامتداد الجغرافى والقبلى المتصل وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمرى في القرن الثامن الرابع عشر حينما قال بأن عرب عقيل وبتونها من عامر والمنتفق وغيرها يعبر عنهما بعرب البحرين^(٢٠).

علاقة بنى عامر بقرامطة البحرين ونشاطهم في هذه الفترة

» ان استعراضنا لنشاط بنى عامر في هذه الفترة سوف يكون من اهدافه الاولى تأكيد وجود الصلة الوثيقة التي كانت تربطهم ببلاد البحرين ، ثم اضعاف ان لم يكن نفى الفكرة القائلة بأن ظهورهم فيها ونشاطهم كان مرتبطا اشد الارتباط بسقوط دولة بنى عقيل في الموصل والجزيرة عام ١٠٩٦/٤٨٩ .^(٢١) اذ ان الاحداث التى سوف نوردتها ولعب فيها بنو عامر دورا رئيسيا قد وقعت قبل تاريخ سقوط دولة بنى عقيل . على اننا لا نستطيع ان نقطع بعدم وجود صلة بين تصاعد قوتهم وعودة بطون بنى عقيل من جهات الموصل الى جهات البصرة .

لقد سبقت الإشارة الى ما رواه كل من ابن الاثير وابن خلدون عن قيام تحالف بين قرامطة البحرين وبعض القبائل ، والتي كان من بينها بنو عقيل ، وغنى عن القول بأن هذا التحالف لا يقتضى بالضرورة وجود اتفاق تام في الاهداف والمبادئ بين الطرفين اذ ليس هناك ما يشير الى ان هذه القبائل قد تقبلت معتقدات القرامطة ، كما انه ليس هناك من دليل على ان الزعامة القرمطية كانت تقيم تحالفاتها على اساس عقائدية دائماً ، بل انه من المؤكد ان مثل هذه التحالفات قد قامت نظرا لوجود نقاط التقاء سياسية واقتصادية وعسكرية بين الطرفين . ان اقليمى البحرين واليمامة هما من الاقاليم التى تكررت فيها الحركات الخارجة على السلطة المركزية فى بغداد قبل ظهور القرامطة ، وان البعض من هذه الحركات كان ذا اهداف ومبادئ سياسية ودينية معينة ، وقد ساهمت بعض قبائل هذه الاقاليم فى هذه الحركات خصوصا قبائل عبد القيس . وبالرغم من فشل هذه الحركات الا انها بالتأكيد قد تركت اثارا فى نفوس وعقول السكان وان اقل ما يمكن ان يقال فى ظاهرة التمردات المتعددة فى هذه المناطق هو وجود الكراهية للسلطة المركزية وزادها كرها الحملات العسكرية التى جردت ضدها وما يرافقها عادة من تنكيل وبطش ، الامر الذى جعل السكان على استعداد لتأييد كل خروج على هذه السلطة كلما اتاحت لهم الفرصة لذلك . وفى تقديرنا ان العامل الرئيسى الذى يدفع القبائل للتعاون مع الخارجين على السلطة المركزية هو حالة الفقر المدقع التى يعيشها افرادها نظرا لفقر بيئتهم وعجزها عن سد متطلباتهم وما ينشأ عن هذه البيئة من قيم بدوية ومفاهيم سياسية يتضاعل امامها اى وازع حتى الوازع الدينى لذا فهم ينظرون الى سكان المناطق الحضرية نظرة فيها الكثير من الازدراء والحقد ، لما يتمتع به هؤلاء من رفاء نسبي فى العيش مقارنة

بحياتهم البائسة . كما انهم ينظرون الى المناطق الحضرية على انها المجال الحيوى لنشاطهم ولسد احتياجاتهم المادية ، بصورة سلمية او حربية ، فعيشهم فى اطراف سيوفهم كلما اضطروا الى ذلك .

ومن هنا كان التقاء هذه القبائل التى تغلب عليها البداوة فى عيشها او فى قيمها مع الزعامة القرمطية التى قد تتيح لهم فرصة للكسب . اما القرامطة فقد كانوا يرون بالتأكيد فى هذه القبائل القوة العسكرية الاساسية التى يمكن بواسطتها تحقيق اهدافهم او بعضها دون ان تكلفهم اعباء مالية باهظة فهاجموا بواسطتها مناطق واسعة من الهلال الخصيب ومصر والجزيرة العربية وتحقق للطرفين فوائد مادية وسياسية واضحة . على انه يجب ان نستدرك فنقول انه لا يمكن ان نتوقع ان تسير العلاقة بين هذين الطرفين بشكل متوافق ولدة طويلة . اذ لا بد ان تثور المنازعات فيما بينهم لسبب او لآخر وقد المح ابن خلدون الى ذلك حين قال : كان القرامطة يستعينون بعرب البحرين فى حروبهم وربما يحاربونهم ويقاطعونهم فى بعض الاوقات^(٢٧) . وكما ظهرت بوادر ، ضعف السلطة تزايدت هذه التمردات ، واذا كنا قد اشرنا فيما سبق الى اضطراب بعض القبائل المتحالفة مع القرامطة الى مغادرة البحرين فانه من الصعب ربط هذه المهاجرة بعلاقات سلبية مع السلطة القرمطية لعدم توفر الدليل الواضح الذى يؤثر ذلك الا اننا نملك بعض الامثلة الواضحة على خروج بعض حلفاء القرامطة عليهم خصوصا فى فترة ضعفهم وارتقاء قبضتهم على البلاد حيث اصبحوا تحت رحمة حلفائهم .

ان ما يعنينا هنا من هؤلاء الحلفاء هم بنو عامر ومن يمت اليهم بصلة نسب قريب ونتابع هذا النشاط حتى نجاحهم فى الاستيلاء على السلطة فى بلاد البحرين .

يقول ابن الاثير انه في سنة ٣٧٨/٩٨٨ - ٨٩ قام زعيم المنتفق المعروف بالاصفر (ويرد تارة باسم الاصيفر) - وهو لقب له فيما يبدو وليس باسمه الحقيقي - بحشد جموع كثيرة وحارب القرامطة وانتصر عليهم ووقع بهم خسائر كبيرة ثم حاصرهم بالاحساء حيث تحصنوا ، فلما امتنعت عليه زحف الى القطيف فاكتسحها واخذ ما فيها من عبيد واموال تعود للقرامطة ثم انسحب الى البصرة^(٢٣).

ان ابن الاثير لم يعطنا أية تفاصيل عن الموضوع الذى تحرك منه الأصفر ، فلا نعلم أكانت البصرة هى المكان الذى تحرك منه واليه عاد أم ان زهابه الى حدود البصرة كان خشية من أن ينتقم منه ؟ ومهما يكن من أمر فان زعيم المنتفق كان يقوم بنشاطه في مناطق يعتبرها القرامطة واقعة تحت نفوذهم . والدليل على ذلك انه عندما قام معز الدولة ومعه الخليفة المطيع بالله بالزحف على البصرة عام ٣٣٦/٩٤٧ - ٤٨ لانتزاعها من أبى القاسم البريدى وسلكوا اليها طريق الصحراء احتج قرامطة البحرين على ذلك معتبرين هذا العمل خرقا لحزمة أراضيهم التى لا يمكن سلوكها بدون اذنهم وقد دفعهم هذا الانتهاك لأراضيهم للانتقام بالتعاون مع ابن الوجيه صاحب عمان في الهجوم على البصرة عام ٣٤١/٩٥٢ - ٥٣^(٢٤) . فزعيم المنتفق الأصفر كان نشاطه مستمرا في هذه البادية ما بين البصرة والبحرين حتى وفاته ، يعترض طريق الحاج ويرغم البويهيين على أن يدفعوا له مبالغ معينة لقاء عدم تعرضه للحاج^(٢٥) ، ومن الجدير بالذكر ان مثل هذه الأعمال كانت في السابق موكولة للقرامطة . وان بروز نفوذ المنتفق في هذه الفترة وفي بادية البصرة دليل واضح على انكماش نفوذ القرامطة .

أما الرحالة الشهير ناصر خسرو فانه يذكر لنا انه خلال وجوده في الاحساء عام ٤٤٣/١٠٥١

شاهد أميراً عربياً يحاصرها وانه قد مضى على حصاره لها سنة كاملة . وقد قال له الأمير العربى انه يعتزم الاستيلاء على الاحساء لأن أهلها لا دين لهم^(٢٦) . على أن الرحالة خسرو لم يذكر لنا اسم القبيلة المتمردة أو زعيم هذه القبيلة ، الا انها اشارة مهمة تدل أيضا على تداعى سلطة القرامطة وخروج بعض القبائل عليهم . وأعقب هذه الأحداث بقليل قيام أحد الأثرياء العرب في جزيرة البحرين الملقب بأبى البهلول واسمه العوام بن محمد بن يوسف الزجاج بالاستيلاء على جزيرة أوال (البحرين) عام ٤٥٠/١٠٦٨ ، ولقد سارع القرامطة بالاستعانة ببني عامر وبعض بطون عبد القيس ، الا ان العوام انتصر عليهم في معركة بحرية وأعلن استقلاله في الجزيرة وولاه للخليفة العباسي^(٢٧) . ثم شار على القرامطة بنو محارب أحد أقوى بطون عبد القيس بزعامة ابن عياش الذى انتزع القطيف منهم في العقد السادس من القرن الخامس/ الحادى عشر ثم مد ابن عياش سيطرته على جزيرة أوال منتزعا اياها من العوام^(٢٨) ومن المحتمل جدا ان بنى عامر كانوا هم القوة الرئيسية ان لم تكن الوحيدة من بين حلفاء القرامطة التى بقيت الى جانبهم حتى النهاية . ان دى غويه الذى كتب عن نهاية قرامطة البحرين معتمدا على الشروح والتعليقات الفنية لمخطوطه نادرة لديوان ابن المقرب تفوق كثيرا مخطوطة بومبى ، ذكر بأن بنى عامر كانوا قد فرضوا على القرامطة أن يدفعوا لهم جزءا من حاصلات بلاد البحرين مقابل الحماية أو الخفارة^(٢٩) والخفارة أو الحماية نظام كان معروفا عند العرب قبل الاسلام بقرون عديدة وقد ظل موجودا حتى وقت قريب ، وهم يعتبرونه حقا من حقوقهم وكان عدم الاقرار لهم بهذا الحق يعرض القوافل التجارية ومناطق الاستقرار لهجماتهم . ان اعتراف القرامطة لبني عامر بهذا الحق هو

موقف بيدوسليما من جانبهم لأنه يخفف عنهم أعباء أمنية ومالية كبيرة ، ويؤمن سير القوافل التجارية مقابل نفقات قليلة تدفعها السلطة والتجار ، الا انه من الوجهة الثانية يعكس ضعف القرامطة وعجزهم عن القيام بهذا العبء أمام قوة بنى عامر .

علاقة بنى عامر بالعيونيين

لقد تلا الأحداث التى أشرنا إليها سابقا والتي هى مؤشر على ضعف وتداعى قوة القرامطة قيام عبدالله بن على العيونى الذى ينتمى الى عبدالقيس بمحاولته الناجحة فى إنهاء حكم القرامطة من بلاد البحرين مستعينا بسلطان السلاجقة أبى الفتح ملكشاه الذى أرسل له قوة كبيرة بقيادة أرتق بك ، فتم له انتزاع القطيف أولا من ابن عياش عام ١٠٧٤/٤٦٧ ثم تلا ذلك انتزاعه للاحساء من القرامطة فى حدود عام ١٠٧٦/٤٦٩ - ١٠٧٧ وأقام حكومة فيها تدين بالتبعية للخلافة العباسية فى بغداد .

ومما هو جدير بالملاحظة ان بنى عامر وقفوا الى جانب القرامطة فى محنتهم هذه فقاتلوا جنود العباسيين كما قاتلوا جنود عبدالله بن على العيونى (٣٠) .

ان قيام سلطة العيونيين الجديدة فى بلاد البحرين لم تمنع بنى عامر من محاول فرض نفوذهم عليهم ومطالبتهم بأن يدفعوا لهم مثلما كان يدفع لهم القرامطة ، لذا فقد شهبوا سلاحهم ضد الأمير عبدالله بن على العيونى الذى كان قد قطع عنهم ما كان يدفعه لهم القرامطة من عوائد وجرايات الا ان الأخير تصدى لهم بقوة وعنف وأوقع بهم هزيمة كبيرة وخسائر فادحة الأمر الذى اضطر قسما منهم الى اللجوء الى قبيلة المنتفق بجوار البصرة (٣١) . على ان نشاط بنى عامر لم يتضاءل أو

يضعف بعد قيام حكم العيونيين واتجاه سلطة العيونيين نحو الانحدار التدريجى ، بل اننا نستطيع أن نقول الا فترة قصيرة ، ثم أخذ يتزايد بشكل ملفت للنظر وبصورة طردية يتناسب انهم كانوا أحد العوامل الرئيسية فى أضعاف سلطة العيونيين وان ما سوف نورده من وقائع يؤيد ما ذهبنا اليه .

فابن الاثير يذكر فى حوادث عام ١٠٩٠/٤٨٣ ان زعيم بنى عامر قد قام على رأس عشرة آلاف رجل بالزحف من الاحساء نحو البصرة ونهب المدينة نهبا شنيعا وأحرق بعض مواضعها الأمر الذى حمل السلطة ببغداد على الاسراع فى ارسال نجدات كبيرة لانقاذ المدينة المنكوبة (٣٢) .

ان هذا الحادث يعكس لنا ان بنى عامر قد أصبحوا سادة البادية ما بين البصرة وبلاد البحرين وهذا ما يؤيده أيضا وصف الشريف الادريسي (ألف كتابه فى حدود عام ١١٥٣/٥٤٨) لبادية البحرين حيث قال .. « ويتصل بالقطيف الى ناحية البصرة برمتل لا عمارة فيه ، أى ليس فيه حصن ولا مدينة وانما به اخصاص القوم من العرب يسمون عامر ربعة » (٣٣) .

ومهما يكن من أمر فان اشعار ابن المقرب العيونى (ت فى حدود عام ١٢٣٢/٦٣٠) طافحة بالاشارة الى نشاط بنى عامر والى الصدامات التى كانت تحدث فيما بينهم وبين الحكام العيونيين وكثيرا ما حاصروا واحات القطيف والاحساء تحت قيادة زعيمهم غفيلة (أو عقيلة) (٣٤) . فقد كان بنو عامر يصرون على أن يدفع لهم العيونيون من الأموال مثلما كان القرامطة يدفعونه لهم . الى أن نجحوا فى النهاية فى ارغام العيونيين على الاقرار لهم بذلك . لذا فقد وصف ابن المقرب فى احدى قصائده بلاد البحرين بأنها أرض عامر لانهم أهل البادية وأصحاب خفارتها (٣٥) .

ان خضوع الحكام العيونيين لمطالب بنى عامر مؤشر واضح على عجزهم عن اخضاعهم بالقوة لذا فقد فضلوا اتباع سياسة الترضية معهم . وان ذلك يمكن أن يترجم على أن بنى عامر قد أصبحوا يتحملون مسئولية حماية أرياف البحرين وقوافل التجار والحجاج مقابل مبالغ معينة يحصلونها من المزارعين والتجار والسلطة الحاكمة . الأمر الذى جعلهم على صلة مباشرة بهؤلاء جميعا مما سوف يمكنهم فى المستقبل من تطويرها الى علاقات ذات طبيعة سياسية أيضا .

كما انه من الجهة الأخرى أصبح زعماء بنى عامر فى وضع مادى مكنهم من كسب ود زعماء القبائل الصغيرة عن طريق العطايا والهدايا لى يعترف هؤلاء بزعامه بنى عامر وعدم التعرض من جانبهم الى طرق القوافل وكل ذلك كان يؤدى الى تزايد الدور الذى يلعبه بنو عامر فى حياة بلاد البحرين .

ولعل ما أورده كل من ابن الأثير وابن خلدون يعكس مدى تزايد قوة بنى عامر فى نهاية القرن السادس/ الثانى عشر فقد ذكر بأنه فى سنة ٥٨٨/ ١١٩٢ قام بنو عامر بقيادة زعيمهم عميرة (بن سنان بن عقيلة بن شبانة) بمهاجمة البصرة ونهبها ، وعندما تقدمت قبيلتنا خفاجة والمنتفق لصددهم تمكنت عامر من هزيمتهم ، وقد تكرر هذا الهجوم عام ٥٩٣/ ١١٩٦ - ٩٧ ان هذه الهجمات يمكن اعتبارها من بعض الوجوه مؤشرا على ضعف العيونيين الذين كان قد أوكل اليهم الخليفة الناصر لدين الله حماية أرياف البصرة وطريق الحاج (٣٦) .

لقد أشرنا فيما سبق عند الحديث عن سمات البيئة فى بلاد البحرين الى ان البدو يأخذون بالتقلل التدريجى فى مناطق الاستقرار فى ظل ظروف معينة ، وكما أوضح كوبر فان أى شىء يضعف الحكومة فى مناطق الاستقرار ينتج عنه

تقلل البداوة (٣٧) ومن بين الذين يستقرون منهم بعض أفراد الأسر التى تنزعم القبائل ، الا انهم يحافظون على صلتهم بقبائلهم ، وبحكم استقرارهم يكونون على صلة بالزعامات المؤثرة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مناطق الاستقرار وبما يدور بينهم من منافسات وصراعات فينجرون الى الاشتراك بها بطريقة أو أخرى مرتكزين فى قوتهم على قبائلهم .

وتنطبق هذه الصورة بوضوح على بنى عامر منذ النصف الثانى من القرن السادس خصوصا بعد أن أصبحوا يشكلون جزءا أساسيا من سكان البحرين ، وكانوا القوة التى ارتكز عليها الحكام العيونيون فى المحافظة على مناطق الاستقرار وطرق القوافل من هجمات البدو .

ولقد ازداد ارتباط بنى عامر بالأسرة العيونية الحاكمة بالبحرين وذلك عن طريق المصاهرة التى من الواضح ان دوافعها كانت سياسية (٣٨) . فازداد اتصالهم بالحكام العيونيين واشتركوا فى الصراعات التى كانت تدور فيما بينهم فكانوا يمنحون تأييدهم الى هذا الحاكم أو ذاك بحسب مصالحهم . ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن بنى عامر أخذت تظهر بين أفعالهم زعامات متعددة وينتسب كل فخذ الى زعيمه فهناك الشبانان نسبة الى زعيمهم شبانة والقيادات نسبة الى زعيمهم قديمة والغفيلات أو العقيلات نسبة الى زعيمهم غفيلة أو عقيلة وكل فخذ أو أكثر كان يمنح ولاءه لزعيم من زعماء العيونيين المتقاسمين حكم البلاد . الا انه من الواضح ان قوة بنى عامر الرئيسية كانت تتركز فى يد أسرة عميرة بن سنان بن غفيلة . فمصادرنا تشير الى ان زعيم بنى عامر راشد بن عميرة أخذ يلعب دورا هاما فى الحياة السياسية (٣٩) . فقد اشترك مع أحد أفراد الأسرة العيونية الطامح فى السلطة المدعو

غريير بن الحسن في اغتيال الحاكم العيوني محمد بن أبي الحسين مقابل حصول راشد على جميع أموال الحاكم الموجودة في القطيف وأوال بالإضافة الى حصوله على عدد من السفن والدنانير التي سوف تدفع له سنويا .

وقد تم تنفيذ المؤامرة وتولى غريير بن الحسن السلطة^(٤٠) . الا ان الفضل ابن القليل سارع الى الاستعانة بخاله الحسين بن المقداد بن سنان زعيم أحد أفخاذ بني عامر . كما طلب الفضل المساعدة من الخليفة العباسي الناصر لدين الله (١١٨٠ / ٥٧٥ - ١٢٢٥ / ٦٢٢) فأنجده بها . ولما نجح الفضل في استلام السلطة قرب اليه قسما كبيرا من بني عامر الذين أخذوا يمارسون نفوذا كبيرا عليه ، فمنحهم ما أرادوا بأن أقطعهم البساتين في أوال والعيون الجارية بما تسقيه من النخيل والأراضي وقسم عليهم جميع مناطق صيد الأسماك . كما ملكهم السفن التجارية وسفن الغوص وما فيها من الغاصة . وأخذوا يتوارثون ذلك^(٤١) .

وقد أوضح الشاعر ابن المقرب في إحدى قصائده بأن بني عامر قد أصبحوا يملكون كل شيء ويلبسون الحرير ويركبون الخيول المطهمة ويأكلون أحسن الطعام^(٤٢) .

ولعل القصيدة التالية لابن المقرب العيوني تعبر أصدق تعبير عن مدى تغلغل بني عامر في الحياة الاقتصادية والسياسية في بلاد البحرين ، وتعكس مدى الخطر الشديد الذي أصبح يهدد المستقبل السياسي للأسرة العيونية الحاكمة^(٤٣) .

أخذوا الحسام من الكتيب الى محاسن
ديث العيون الى نقا حلوان^(٤٤) .
والخط من صفواء حازوها فما
ابقوا بها شبرا الى الظهران^(٤٥) .
وبالبحر فاستولوا على مافيته من
صيد الى در الى مرجان

ومنازل العظماء منكم أصبحت
دورا لهم تكرى بلا اثمان
وأضى شيء للقلوب قطائع
بالمسروزان لهم وكرزكان^(٤٦) .
ومهما يكن من أمر فان هذا التغلغل الواسع لبنى عامر في المرافق الاقتصادية للبحرين سوف تنشأ عنه بالتأكيد سيطرة سياسية . لأن كل سيطرة اقتصادية سوف يعقبها حتما سيطرة سياسية . على ان الذي يجدر بالذكر هنا هو ان ضعف وتداعى الدولة العيونية في بلاد البحرين ليس منشأه الضغوط الداخلية فحسب ، بل كانت هناك ضغوط خارجية تعرضوا لها صادرة من جزيرة قيس التي حلت محل سيراف كمركز تجارى رئيسى في الخليج العربى ، وقد استطاع ملوكها من بنى قيصر بعد عدة هجمات على سواحل وجزر البحرين ، فرض شروط معاهدة لم تكن لصالح العيانيين ، اذ أصبح بموجبها ملوك بنى قيصر جزء كبير من واردات بساتين القطيف والاحساء ومن واردات مفاصات اللؤلؤ بالبحرين^(٤٧) فحرموا بذلك الدولة العيونية من جزء كبير من وارداتها ، اضافة الى تحكم قيس بتجارة الخليج العربى ، ومما هو جدير بالاشارة هنا ان وصف ابن المجاور لجزيرة البحرين أوال في حدود هذه الفترة يدل على ازدهار حياتها الاقتصادية ، اذ يقول بأن أهلها شبه البحر في كرمهم وان جزيرة أوال بها ثلثمائة وستين قرية امامية المذهب ما خلا قرية واحدة ، وليس هناك أجود من لؤلؤها^(٤٨) .

قيام اماره العصفوريين العامرية

أن حالة التمزق والتداعى الذى اخذ يهدد اماره العيانيين بالسقوط منذ مطلع القرن السابع / الثالث عشر ، قد أثار كما يبدو حالة قلق واسعة بين اعيان بلاد البحرين ، بعد أن

ادركوا تمام الادراك عجز الحكام العيونيين بما هم عليه من الضعف عن حماية الأمن ، الأمر الذى سوف يعرض اموالهم ومصالحهم التجارية للخطر من قبل بنى عامر اذا لم يسارعوا لكسب رضاهم ، فأخذ اغنياء البحرين واعيانهم يتسابقون الى ارضائهم بالأموال والهدايا ويقيمون معهم صلات شخصية وثيقة ، بل ويتواطؤون معهم ضد العيونيين ، وعلى رأس هؤلاء المتواطئين كان ابراهيم بن عبدالله بن ابي جروان ابرز اعيان الاحساء وأثريائها . وقد عاتبه على ذلك الشاعر ابن المقرب العيوني المعاصر للأحداث بقصيدة جاء فيها :

اتراك ترضى أن يحدث جاهل
أو عالم من نازح أو دان

فيقول كان خراب دار ربيعة
بعد العمار بنو ابي جروان^(٤٩)
يأبى لك الطبع الكريم ونخوة
عربية شهدت بها الثقلان

وقد تطور الأمر اخيرا الى اتفاق معظم اعيان الاحساء ووجهها على تسليم السلطة في البلاد الى زعيم بنى عامر المحنك الشيخ عصفور بن راشد بن عميرة ، فاتصلوا به واتفقوا معه على خطة يقوم بموجبها بمحاصرة الاحساء على أن يقوموا بدورهم بخذلان الحاكم العيوني الأمير الفضل بن محمد بن مسعود واقتناعه بعدم جدوى مقاومة بنى عامر بل عليه أن يسترضيهم وأن يفتح لهم ابواب أسوار الاحساء . وفي حالة نجاح هذه الخطة فقد اشترط زعماء الاحساء على الشيخ عصفور بأن يكتفى بالاستيلاء على املاك الأسرة العيونية جميعها وان لا يتعرض لغيرها من الممتلكات .

وقد تم تنفيذ الخطة بنجاح وقبض الأمير عصفور على الأمير العيوني الفضل بن محمد

وطرده من الاحساء بعد أن كان قد استولى على كافة امواله وأموال أسرته وكف عن أموال الآخرين^(٥٠) وهكذا تم لبنى عامر الاستيلاء على السلطة في الاحساء وانتهاء حكم الأسرة العيونية فيها وبذلك استطاعوا أن يحققوا الخطوة الأولى والأهم لكى يتموا سيطرتهم على كافة بلاد البحرين على أن مصادرنا لا تسعفنا بتاريخ محدد لاستيلاء الأمير عصفور بن راشد بن عميره العامرى على السلطة في الاحساء ، لكن الشيخ محمد بن عبدالله العبد القادر الذى ألف كتابا في تاريخ الاحساء قد ذكر بأن ذلك قد تم في العقد الرابع من القرن السابع^(٥١) . ومن الواضح كما سوف نرى بأن هذا التاريخ الذى حدده الشيخ العبد القادر قد قصد به تاريخ استيلاء العصفوريين على كافة بلاد البحرين . والذى نميل اليه أن ذلك قد تم على فترات وان تاريخ استيلاء الشيخ عصفور على الاحساء هو حدود العقد الثانى من القرن السابع /العقد الثانى من القرن الثالث عشر ولقد استندنا في تقرير ذلك الى قائمة الحكام العيونيين ومدة حكمهم في كل من الاحساء والقطيف وأوال والتي اوردها صاحب المخطوطة التيمورية والذي كان معاصرا للأحداث كما يفهم من اشاراته^(٥٢) .

بعد أن استولى الأمير عصفور بن راشد بن عميره بن سنان على واحات الاحساء ، أصبحت تواجه امارته الفتية مسئوليات متعددة ، وأهمها هى اولا حمايتها من الأخطار المحتملة من بقايا الإمارة العيونية في كل من واحات القطيف وجزيرة أوال وثانيا الخطر المنبعث من مملكة جزيرة قيس التى تملك اسطولا بحريا وتجاريا قويا يتحكم بتجارة وسيادة الخليج العربى ، وإذا كان من الصعب حسم العداوة ما بين بنى عامر والعيونيين الا عن طريق القوة ، فانه من الممكن جدا اقامة علاقات حسنة مع بنى قيصر ملوك جزيرة قيس

خصوصا فيما اذا اعترف لهم بحقوقهم في جزء من واردات بساتين الاحساء كانت قد ضمنتها لهم المعاهدة المعقودة سابقا بينهم وبين حاكم الدولة العيونية الأمير الفضل الذي كان قد اطلع بحكمه العصفوريون . واذا ما تحقق ذلك فان الامارة العصفورية الناشئة سوف تستطيع المحافظة على منفذها على الخليج وهو ميناء العقير الذي لا يمكن لها الاستغناء عنه في صلاتها ما بين داخل الجزيرة العربية والعالم الخارجى . كما انه من الجهة الأخرى ربما سوف يتمكن الأمير عصفور بن راشد من تحييد بنى قيصر فيما اذا حاول الاستيلاء على بقايا ممتلكات العيونيين .

ومن المرجح جدا ان مثل هذه العلاقة الحسنة ما بين الطرفين قد تحققت بما يفهم من كلام ابن الجاور (ت ٦٩٠/١٢٩١) (٥٣)، وكما يستدل من وصف المؤرخ العثماني أحمد منجم باشى (ت ١١١٣/١٧٠٢) (٥٤) للأمير عصفور انه مقدم امراء الملك جمشيد ملك جزيرة قيس (٥٥) . فهذا وصف للأمير عصفور بن راشد يحمل في طياته دلالات معينة هي وجود علاقة حسنة بين الطرفين ، ومهما يكن من أمر فان منطق الأمور يقودنا الى مثل هذا الاحتمال ، اذ أن ملوك بني قيصر بالإضافة الى انهم سوف يضمنون حقوقهم في جزء من واردات الاحساء فان قوة الأمير عصفور هي أحد الضمانات المهمة لاستمرار حصولهم على جزء من واردات اوال والقطيف من العيونيين ، اذ يمكن استخدام هذه القوة للضغط من الداخل على العيونيين في سبيل هذا الهدف .

ومهما يكن من أمر فاننا نجهل بشكل دقيق الكيفية التي تم بها انتقال القطيف الى حكم بنى عامر ، وكل ما نعرفه أن صاحب المخطوطة التيمورية قد ذكر بأن آخر حاكم عيوني هو الأمير محمد بن محمد بن ابي ماجد كان قد

غادر القطيف في حدود عام ١٢٣١/٦٣٠ - ٣٢ أو قبلها بقليل وان حكمه قد اقتصر بعدها على جزيرة اوال (٥٦) . أما وصاف الحضرة (ت ٧٣٥/١٣٣٤ - ٣٥) فانه كان أكثر وضوحا عن مصير القطيف بعد مغادرة الحاكم العيوني الأمير محمد بن محمد لها فحين تعرضه للحديث عن استيلاء الاتابك أبو بكر السلغرى على جزيرة اوال قال بأن القطيف كان يحكمها انذاك أقوى شيوخ العرب واوسعهم نفوذا هو أبو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمر (عميره) بن سنان (٥٧) . ومما لاشك فيه بأن أبا عاصم هذا ما هو الا أحد زعماء بنى عامر وقريب الصلة بالأمير عصفور . والسؤال الذى قد يثار هو كيف استولى العصفوريون على السلطة في القطيف وهل أبو عاصم بن سرحان كان يحكم القطيف نائباً عن قريبه الشيخ عصفور بن راشد أم انه كان مستقلا عنه تمام الاستقلال ؟ والذى نميل اليه هو ان الصلة وثيقة بين الاثنين وأن الأمير عصفور كانت زعامته معترفا بها بين كافة افخاذ بنى عامر ، ونستدل على ذلك من الأحداث التى سوف تتلو مقتل الامير ابي عاصم حيث أن الشيخ عصفور أخذ يحكم القطيف مثلها مثل باقى بلاد البحرين من دون أن تثور في وجهه معارضة قبلية . من الواضح اذا انه في حدود نهاية العقد الثالث / من القرن السابع / الثالث عشر تمكن بنو عامر من بسط سيطرتهم على معظم بلاد البحرين باستثناء جزيرة اوال كما أن سيطرتهم قد امتدت الى اليمامة وعمان أيضا .

قال ابن سعيد المغربى الذى كان قد زار المشرق العربى مرتين ، الأولى بين عامى ٦٤٨ - ٦٥٢/١٢٤٥ - ١٢٥٤ والثانية عام ٦٦٦/١٢٦٧ وهو يصف بلاد البحرين بأن (بين القطيف واليمامة مجالات بنى عامر ولم يبق معهم لأحد من العرب عز في بلاد اليمامة والبحرين ، ومنهم الآن ملوك الصقعين » . ثم

وصف بنى عامر في موضع آخر فقال بأنهم عرب اليمامة والبحرين^(٥٨) .

والواقع فان الروايات عن نفوذ بنى عامر في القرن السابع/ الثالث عشر والتي ترد عند ابن فضل الله العمري وابن خلدون والقلقشندي كلها منقولة عن ابن سعيد المغربي وهى تتشابه الى حد كبير لفظا ومعنى . فهم ينقلون قوله سألت أهل البحرين في سنة ١٢٥٤/٦٥١ حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا « الملك فيها لبنى عامر بن عقيل ، وعصفور وبنوه هم اصحاب الاحساء دار ملكهم » .^(٥٩)

كما ترد رواية عن ابن سعيد المغربي تتعلق بنفوذ بنى عصفور في اليمامة فهو يقول « سألت عرب البحرين لمن اليمامة اليوم؟ فقالوا للعرب من قيس عيلان وليس لبنى حنيفة بها ذكر »^(٦٠) .

ولعل النص التالى الذى يروى عن ابي سعيد هو أكثر وضوحا ، فعند حديثه عن بنى عامر قال « وملكو ارض اليمامة من بنى كلاب ، وكان ملكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة عصفور وبنوه »^(٦١) . ومما هو جدير بالذكر أن ابن خلدون ينفرد بأن بنى عصفور قد غلبوا أيضا على عمان .^(٦٢)

علاقة امارة العصفوريين بالسلفريين (اتابكة فارس) .

قبل التعرض لعلاقة العصفوريين باتابكة فارس من السلفريين ، يجدر بنا أن نثبت ملاحظتين هامتين تتعلقان بمجمل الاوضاع العامة في الخليج العربى في الربع الثانى من القرن السابع/ الثالث عشر .

فالملاحظة الاولى هى ان بلاد فارس اخذت تتعرض في هذه الفترة لهجمات الخوارزميين الذين كانوا قد غادروا بلادهم على اثر الهزائم القاسية التى الحقها بهم المغول . ثم ما لبث ان

ظهر خطر المغول بعد اختفاء الخوارزميين من المسرح بقليل فاننتشرت هجماتهم في رقعة واسعة من ايران . وقد ولدت هذه الهجمات المتكررة تخريبات واسعة واضطرابا في الحياة السياسية والاقتصادية والامنية في ايران ووصل اثره الى مياه الخليج العربى وسواحله الشرقية وفي مثل هذا الجو من الخوف والهلع يمكن لنا ان نتصور اندفاع سيل من المهاجرين نحو المناطق الاكثر أمنا من الخليج . ولما كانت الجزر والشواطىء العربى بعيدة نسبيا عن مراكز الخطر فهى اكثر أمنا ، لذا فأن قسما من المهاجرين كان لابد له أن يندفع للاستقرار فيها واذا ما توقعنا ان نسبة مهمة من المهاجرين كانوا من التجار والاثرياء الذين هم من اكثر الطبقات شعورا بالخوف فاننا نستطيع ان نقول بان امارة العصفوريين قد تعزز مركزها الاقتصادى والسياسى بأستقبالها لمثل هؤلاء المهاجرين .

والملاحظة الثانية هى ان الامارة العيونية التى اصبحت ممتلكاتها قاصرة على القطيف وجزيرة أوال ثم بعد ذلك على جزيرة أوال فقط كانت تعاني ضغطا شديدا في الوقت الذى كان تحت سلطانها اثنى ثروة في الخليج وهى مغاصات اللؤلؤ ومثل ذلك يمكن ان يقال عن ملوك جزيرة قيس من بنى قيسر .

ان مجمل هذه الاوضاع في الخليج العربى كان لابد ان تحرك الزعماء الطموحين للاستفادة منها في الحصول على افضل غنيمة . وكان اسبق هؤلاء امير هرموز سيف الدين ابو النظر ، اذ استطاع في جمادى الاخرة عام ٦٢٦/ مارس ١٢٢٩ الاستيلاء على جزيرة قيسر بعد ان تمكن من قتل الملك سلطان قوام الدين آخر ملوك بنى قيسر . وبذلك انتهى حكم هذه الأسرة في جزير قيسر^(٦٣) . وبعد ان تم لامير هرموز ذلك ارسل نوابه الى جزيرة البحرين حيث طالبوا حاكمها العيونى الامير منصور

بن علي بأن يدفع لهم من واردات البحرين مثلما كان يدفعه لبنى قيصر على اعتبار ان امير هرموز اصبح الوارث لكافة ممتلكات وحقوق ملوك قيس بعد ان ادخل قاعدتهم الرئيسية تحت سلطانه . وقد اضطر الامير العيوني على الاقرار لامير هرموز بهذه الحقوق (٦٤) .

الا انه بعد وفاة اتابك فارس الامير سعد بن زنكي بن سنقر بن مودود السلغرى عام ٦٢٨ / ٢٣٠ هـ خلفه في الملك ابنه ابو بكر (٦٢٨ / ٢٣٠ - ١٢٣٠ / ٦٥٨) فتأزاع بينه وبين امير هرموز سيف الدين ابو النظر ، ويعلل لنا زكريا القزويني سبب ذلك بأن سكان جزيرة قيس وبسبب ظلم امير هرموز لهم قد استغاثوا بأبى بكر السلغرى في حين ان غفارى القزويني (ت ٩٧٥ / ١٥٦٧ - ٦٨) ومنجم باشى يعللان اسباب هذا النزاع بخروج امير هرموز عن فروض الطاعة والخضوع التى كان يؤديها سابقا للسلغرين وذلك بعد وفاة اتابك سعد ، مما حمل الامير الاتابك ابو بكر على ان يحشد ضده جيشا كبيرا مستعينا باصحاب السفن من اتباع بنى قيصر والذين لايد ان يكون القسم الاكبر منهم من العرب ، وقد استطاع ابو بكر في محرم ٦٢٨ / تشرين الثانى ١٢٣٠ انتزاع جزيرة قيس من امير هرموز ، وبعد ذلك سعى ابو بكر لان ييسط نفوذه على كافة المناطق التى كان لبنى قيصر نفوذ عليها فقام بارسال عماله الى جزيرة أوال ليطلبوا حاكمها العيوني بأن يدفع له مثل ما كان يدفعه لبنى قيصر سابقا ولامير هرموز لاحقا ، ولكن الاموال التى تجبى في هذه المرة كانت تتم باسم حقوق الخلافة العباسية في بغداد وان ابا بكر نائب عنه وقد خضع الامير العيوني لهذه المطالب . ومما يجدر ذكره هنا ان صاحب المخطوطة التيمورية كان من بين موظفى الاتابك الذين كانوا يقولون الاشراف على جباية حقوقه في جزيرة أوال (٦٥) .

على ان الاتابك ابا بكر السلغرى لم يكتف بما

حصل عليه من العيونيين بل تطلعت نفسه للسيطرة المباشرة على جزيرة أوال ، وربما كان قد حصل على تأييد وتشجيع في خطته هذه من الامير عصفور بن راشد ، فارسل ضدها حملتين بحريتين احدهما عام ٦٣٠ / ١٢٣٢ - ٢٣ والثانية عام ٦٣٣ / ١٢٣٥ - ٢٦ الا ان الامير العيوني محمد بن محمد بن ابى ماجد الذى خلف منصور بن على في الحكم قد استطاع ببسالة صد هاتين الحملتين (٦٦) .

اننا نميل الى الاعتقاد انه في حدود هذه الفترات بالذات قام بنو عامر بالاستيلاء على القطيف مستغلين الظروف الصعبة التى اخذت تمر بها الامارة العيونية وهى تواجه اطماع السلغرين .

ومهما يكن من امر فان الاتابك ابا بكر قد اعد حملة بحرية كبيرة عام ٦٣٦ / ١٢٣٨ - ٣٩ اشترك فيها عدد كبير من العرب استطاع من خلالها الاستيلاء على جزيرة أوال وقتل آخر حكام العيونيين الامير محمد بن ابى ماجد ثم نهبت امواله واموال أسرته وتعرضوا لتنكيل شديد وبذلك يكون حكم العيونيين قد زال من جميع بلاد البحرين وان الامر الجدير بالانتباه هنا ان وصاف الحضرة قد سكت تماما عن الحملات الفاشلة التى قادها ابو بكر ضد عرب البحرين كما أنه حدد ذا الحجة من عام ٦٣٣ / آب ١٢٣٥ كتاريخ لاستيلاء ابى بكر على جزيرة أوال ، وعنه اخذ هذا التاريخ جميع الكتاب المعاصرين الذين قد اشاروا الى هذه الواقعة . ان سبب متابعتهم لوصاف يعود الى عدم اطلاعهم على ما اورده صاحب المخطوطة التيمورية بخصوص هذه الوقائع والتواريخ التى ذكرناها . لقد رجحنا اقوال الأخير لانه معاصر للأحداث بل في موقع الأحداث ، فهو احد الموظفين الذين عملوا في جزيرة أوال في خدمة ابى بكر السلغرى (٦٧) . في حين ان وصاف قد ألف كتابه سنة ٧٢٨ / ١٣٢٨ أى بعد حوالى

القرن من وقوع هذه الاحداث . ويعطينا الوصاف بعض المعلومات المفيدة عن علاقة اتابكة فارس بالخلافة العباسية حيث قال بانه بعد الاستيلاء على أوال والتي يسمونها البحرين ثبتت في ديوان الخليفة المعتصم بالله ، وفي كل سنة يكتب دخلها وخراجها ويرسل به الى بغداد مع معتمد الخليفة في أوال ثم يضيف القول أيضا بأن الاتابك أبا بكر السلغري بعد ان انتهى مباشرة من أوال اعترزم الاستيلاء على القطيف ، الا ان مناعة تحصيناتها وقوة العرب الذين يحكمونها وكثرة عددهم جعلته يؤجل تنفيذ هذه الخطة لحين استكمال الاستعدادات الضرورية لمثل هذه الحملة ^(٦٨) . الا انه من المحتمل ان لهذا التردد والتأجيل علاقة بالأخطار التي اخذت تهدد بلاده في هذه الفترة من قبل المغول ، بعد ان اخذت هجماتهم تنتشر في مناطق عديدة من ايران ، على الرغم من انه - وكما يذكر الجويني كان قد سبق له ان ارسل اخاه تهمتن وهو يحمل هدايا ثمينة ^(٦٩) . الى اوكتاي (ت ٦٣٩ / ١٢٣١) الذي تولى حكم المغول بعد وفاة جنكيز خان . ومن الواضح ان الاتابك كان بذلك يحاول استرضاء المغول لتحاشي خطرهم عن بلاده .

بعد مرور اكثر من خمس سنوات على استيلاء الاتابك ابي بكر السلغري على جزيرة اوال ، سنحت له الفرصة ، كما يبدو ، لاحتلال بعض موانئ ساحل بلاد البحرين ، ففي ربيع عام ٦٤١ / ١٢٤٤ جرد حملة كبيرة استطاع بها الاستيلاء على قلعة جزيرة تاروت ، وقتل اكبر شيوخ بني عامر فيها وهو ابو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمرو [عميرة] بن سنان ، والذي كان كما يبدو حاكما لمنطقة القطيف . ان أن وصاف قد نعته بانه كان « من وجوه العرب ومشايخهم ومن ارباب المجد الشامخ والكرم الباذخ » ^(٧٠) . وكنتيجة للانتصار الذي احرزه الاتابك في معركة تاروت

استطاع الاستيلاء على مدينة القطيف وواحاتها . كانت خطة الاتابك ترمى الى حكم هذه المناطق حكما مباشرا ، فوضع لهذا الغرض حاميات عسكرية فيها . الا ان وجود هذه القوات الاجنبية قد اثار غضب واستياء بني عصفور ، فأخذوا يشنون الهجمات المتكررة ويضايقونها الامر الذي حمل الاتابك أبا بكر على ان يقوم باستبدال هذه الحاميات كل سنة بغيرها ، ويزيد من دعمها وتقويتها . لكن ذلك كما يبدو لم يخفف الضغط على قواته من ازمتها واعبائها المالية ، لذا فقد لجأ الى استرضاء العصفوريين بأن أخذ يدفع لشيوخهم اتاوه سنوية مقدارها اثنا عشر الف دينار مصرى ، على ان يكون وقت دفع هذا المبلغ عند جنى محصول نخيل واحات القطيف وفي مقابل ذلك يكف العصفوريون عن التعرض للادارة السلغرية .

ولقد كان بنو عصفور وفي احيان كثيرة يلجأون الى التهديد باستعمال القوة كلما شعروا بوجود تلكؤ ، من قبل السلغريين في دفع هذه الاتاوة بل ان شيوخ بني عصفور كما يبدو لم يكتفوا بمبلغ الاتاوة السنوية المقررة لهم . ان يروى لنا وصاف حكاية تعكس بعض متاعب الادارة السلغرية وهو ينقل ما يرويه عن احد موظفي الاتابك الذين كانوا يعملون في جباية الرسوم في ميناء القطيف . ومفادها انه في بعض الاحيان يقوم بعض الشيوخ بأرسال احد اتباعه الى موظفي الاتابك في ميناء القطيف يطالبهم بأن يدفعوا له مبلغا من المال مع بعض السلع ، وعندما يظهر هؤلاء الموظفون تلكؤا في دفع ما يطلب منهم ، يتم ارغامهم على الدفع عن طريق التهديد باستعمال القوة ضدهم ويضيف وصاف الى ذلك القول بأن عرب البحرين كانوا ينظرون الى ما يدفع لهم من اتاوة ، كحق من حقوقهم الثابتة ، وانها بمثابة الفدية لقاء قبولهم ببقاء اتابكة في بلادهم .

في ضوء التجربة الصعبة التي مرت بها الادارة السلغرية في بعض اجزاء بلاد البحرين والتي استمرت لمدة تزيد على العشر سنوات ونتيجة للاخطار الخارجية التي أخذت تهدد دولتهم ، وبغية التخلص من بعض هذه الاعباء والاستعداد لمواجهة اخطار محتملة تكون اشد من سابقتها ، قام الامير ابو بكر بن سعد السلغري بتسليم السلطة في بلاد البحرين للعصفوريين مقابل قيامهم بدفع مبالغ معينة من الاموال سنويا الى خزينة الاتابكة في فارس . وقد أورد وصاف ذكر زعيمى بنى عامر اللذين تم تسليم السلطة اليهما . وهما عصفور بن راشد بن عميرة ومانع بن على بن ماجد بن عميرة ، كما انه اورد ذكر تسليم القطيف اليهما وسكت عن ذكر جزيرة أوال في حين اننا نجد ان كلا من القاضي احمد غفارى ومنجم باشى قد ذكر اسم الامير عصفور بن راشد فقط . اما المناطق التي كانت قد سلمت اليه ، فعندهما انها قد شملت كلا من القطيف والبحرين وعمان (صحار) والحسا^(٧١) . ومعنى ذلك أن سلطة امارة عصفور العامرية قد أخذت تشمل على كافة بلاد البحرين بما فيها أوال ، اضافة الى أجزاء من نجد (اليمامة) ومن عمان . ومما يجدر ذكره هنا ان اسم عمان كان قد ذكرها ابن خلدون ايضا كجزء من ممتلكات امارة العصفوريين^(٧٢) . وان مؤلفات العصر الوسيط كثيرا ما تطلق عبارة عمان لتعنى بها ميناء صحار . لذا فمن المرجح انه قد استعمل هنا بهذا المعنى . ان التاريخ الذى اعطاه وصاف لاستقلال بنى عامر بالسلطة في كافة بلاد البحرين هو عام ٦٥٤-١٢٥٦ ، وهذا التاريخ يتعارض بعض التعارض مع ما رواه ابن سعيد المغربى - والذى سبق الاشارة اليه - من ان السلطة في بلاد البحرين كانت في عام ٦٥١ لعصفور وبنيه وان قاعدة ملكهم هي الحسا . وللتوفيق بين ما رواه كل من وصاف وابن سعيد ، نرى ان هناك

احتمالين : فالاحتمال الاول هو ان وصاف ربما لم يكن دقيقا في هذا التاريخ الذى ذكره حول تسليم السلطة في بلاد البحرين لعصفور بن راشد ، والاحتمال الثانى هو ان رواية ابن سعيد يجب ان تفهم على ان المقصود بها ان سلطة الشيخ عصفور كانت تشمل على كافة بادية البحرين ، وان منطقة الاستقرار التي تحت حكمه المباشر هي واحات الحسا فقط ، حيث اتخذ منها قاعدة لنفوذه ، وان عدم اشارة ابن سعيد لكل من جزيرة أوال والقطيف في روايته ، قد يعنى انهما كانتا خارج سلطة الشيخ عصفور . والواقع فان رواية وصاف حول تسليم القطيف الى الشيخ عصفور تتضمن الاعتراف بانه صاحب النفوذ الاول في معظم بلاد البحرين .

بقيت نقطة أخيرة يجدر مناقشتها وهي تتعلق بمدى اتساع نفوذ السلغريين في بلاد البحرين . اذ ان كلا من المستوفى القزوينى (الف كتابه عام ٧٤٠/١٢٤٠ وحاجى خليفة (ت ١٠٦٧/١٦٥٧) كانا قد ذكرا بان ابا بكر قد استولى على الاحساء اضافة الى القطيف وأوال^(٧٣) في حين أن وصاف الحضرة والذى كان عصره اقرب لعهد الاتابك ابى بكر من عصرهما ، لم يذكر اسم الحسا ضمن المناطق التي استولى عليها . يضاف الى ذلك ان ابن سعيد المغربى قد ذكر في روايته التي مرت بنا سابقا بانه في عام ١٢٥٣/٦٥١ - ٥٤ ، كانت الحسا قاعدة نفوذ الشيخ عصفور بن راشد في البحرين ، ومعنى ذلك انها تحت سلطته قبل التاريخ المذكور وقبل التاريخ الذى حدده وصاف لانسحاب السلغريين من بلاد البحرين .

للتوفيق بين هذه النصوص يمكن القول بان الحسا لم تخضع لحكم الاتابك بشكل مباشر ، وانما بقيت تحت حكم الشيخ عصفور والذى ربما كان يعترف بتبعية اسميه للسلغريين . ومهما يكن من أمر فلا بد لنا ان نشير الى

الاسباب المحتملة التي كانت تكمن خلف انسحاب السلغريين من بلاد البحرين في هذه الفترة وتسليمها الى الامير عصفور بن راشد . اذ لا يمكننا ان نعزو ذلك الى المتاعب العسكرية والمالية التي واجهتهم في حكمها فحسب ، بل يمكن ان تعزى الى عوامل لا تقل عنها أهمية وهي : اولاً الزحف المغولي المدمر في داخل الاراضي الايرانية بقيادة هولاكوخان . وثانياً ظهور زعيم طموح في الخليج العربي . وهو محمود بن احمد الكوسى (الكوشى) القلهاى ، الذى استولى على السلطة في مملكة هرموز التي كانت تشمل جزءاً من الساحل الايرانى والعمانى واخذ يتطلع الى توسيع دائرة نفوذه واستطاع ان يتحكم بمدخل الخليج العربى ولا بد ان يكون هذا الزعيم قد اثار مخاوف الاتابك ابى بكر من احتمال قيام تعاون بينه وبين العصفوريين ، يكون الهدف منه مواجهة خصمهم المشترك ابا بكر السلغرى واذا ما علمنا بان للعصفوريين اسطولا تجاريا قويا يمكن ان يستخدم ايضا في عمليات عسكرية ، مثلما كان قد سبق للاتابك نفسه ان استعان به في حملاته على جزيرتى قيس واول ، لادركنا مدى المخاطر المحتملة التي قد تهدد السلغريين من قيام مثل هذا التعاون .

كل هذه الاحتمالات التي سبق الاشارة اليها ربما كانت تكمن خلف سياسة الاتابك ابى بكر الجديدة التي اخذ يتبعها تجاه بنى عامر وزعيمهم عصفور بن راشد وذلك بفتح صفحة جديدة معهم وتسليمهم السلطة في كافة بلاد البحرين بما فيها جزيرة اوال . وبذلك يكون قد اضعف احتمالات قيام جبهة مشتركة ضده ، كما انه سوف يتمكن من الاستفادة من جنوده الذين كانوا يرابطون في البحرين في مواجهة الخطر المغولى المحتمل .

قبل ان ننهى الحديث عن علاقة السلغريين ببلاد البحرين ، نرى انه من المفيد ان نشير الى النقود السلغرية التي اكتشفتها البعثة

الدانماركية في جزيرة البحرين . فقد وجدت قطعة نقدية واحدة مصنوعة من الرصاص ، تعود الى زمن الاتابك ابى بكر الا انه غير واضح عليها مكان الضرب او تاريخه . ويقرر لويك الذى كتب بحثاً عن النقود المتداولة في الخليج العربى ، بان هذه العملة لا بد ان تكون قد ضربت في جزيرة البحرين . الا اننا نرى انه ما دام الدليل القاطع على مكان ضربها لم يتوفر ، فان الامر ليس مؤكداً بل محتملاً ، خصوصاً ونحن قد عرفنا فيما سبق ان البحرين قد استقلت وخرجت من دائرة النفوذ السلغرى في عهد ابى بكر . والواقع فان اكتشاف النقود في مكان ما لا يحتم على كل حال ان تكون هذه النقود قد ضربت في المكان الذى اكتشفت فيه . واذا كانت هذه النقود قد ضربت في عهد السيطرة السلغرية على الجزيرة فمن المفروض ان اسم الخليفة العباسى يجب ان يذكر الى جانب الاتابك ما دام الاخير يعترف بتبعيته الى الخلافة العباسية . ولما كان اسم الخليفة غير مذكور على هذه العملة ، فمن المحتمل جداً انها كانت قد ضربت بعد سقوط بغداد اى بعد زوال السيطرة السلغرية عن الجزيرة . الامر الذى يحملنا على رفض فرضية لويك من ان هذه العملة قد ضربت في جزيرة البحرين .

لقد اكتشفت ايضا في جزيرة البحرين نقود مصنوعة من النحاس وهى تحمل اسم أبش خاتون بنت الاتابك سعد بن ابى بكر السلغرى (١٢٦٤ - ١٢٨٦) وهى اخر حكام السلغريين ، وكان قد تزوج بها منكوتيمور وهو الابن الحادى عشر لهولاكوخان . كما وجدت ايضا عملة برونزية تعود الى السلغريين ، وهى لا تحمل تاريخاً ولا اسم الحاكم الذى ضربت باسمه . ومهما يكن من امر فان اكتشاف هذه النقود في جزيرة البحرين ، يدل على وجود صلات كثيرة وربما سياسية ايضا ما بين امارة العصفوريين وبلاد فارس^(٧٤) .

علاقة امارة العصفوريين بممالك مصر ومغول العراق وايران

بتدمير المغول لمركز الخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦/١٢٥٨ ، ثم سيطرتهم على معظم اجزاء ايران والاناصول تكون الحضارة العربية الاسلامية عموما ، والمشرق العربي خصوصا قد دخلا مرحلة جديدة وحرجة للغاية ولفترة طويلة نسبيا . فقد كان من نتائج هذا الاحتلال المغولي ان تغيرت الخارطة السياسية لمنطقة واسعة من العالم الاسلامي ، اذ اختفت كيانات سياسية تماما ، وبرزت كيانات سياسية جديدة ومن هذه الكيانات السياسية التي ظهرت وقدر لها ان تلعب دورا مهما في تاريخ المشرق العربي ، دولة المماليك في مصر . وقد برزت اهميتها السياسية والعسكرية بسرعة بعد نجاحها في سحق الهجوم المغولي على بلاد الشام في معركة عين جالوت عام ٦٥٨/١٢٥٩ ، ثم نجاحها في توحيد سوريا ومصر في دولة واحدة ، مثلما كانتا في معظم الفترات التاريخية السابقة . كذلك في استمرار تصديها للخطر المغولي ، وتولى دور القيادة في هذا السبيل .

ان تجاور هاتين الدولتين - دولة المغول الايلخانيين في ايران والعراق ودولة المماليك في مصر والشام - وتصدى احدهما للآخرى ، ادى الى ان يقوم بينهما صراع عسكري وسياسي وثقافي واقتصادي لفترة طويلة ، مما دفع كلا منهما لكسب الانصار والحلفاء وحشدهما لمواجهة الطرف الاخر .

ان احدى القوى المهمة التي توصل كل طرف لكسبها الى جانبه وزجها في الصراع الدائر بينهما ، هي القوى القبلية ، وذلك لما تتمتع به هذه القوى من أهمية عسكرية واقتصادية ، اذ كانت مساكنها تتأخم ارياف العراق والشام وتتحكم بطرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج ومن هذا الموقع يكون بإمكانها ان تقدم خدمة عسكرية واقتصادية لاحد الجانبين او كليهما .

وقد يكون العكس ان قد تلحق ضررا لأحدهما او كليهما . ومن ابرز هذه القوى القبلية الفضل الذين كانوا يبسطون زعامتهم على قبائل طى القوة اضافة الى قبائل كثيرة كانت منضوية تحت لوائهم ، فنفوذهم كان يمتد الى بوادي الشام واجزاء واسعة من البوادي الغربية للعراق وكذلك الى اجزاء من نجد^(٧٥) .

ومن القوى القبلية المهمة ايضا قبلتنا عبادة وخفاجة اصحاب النفوذ الواسع في معظم غرب ووسط وجنوب العراق . ثم اخيرا قبيلة بني عامر والتي تبسط نفوذها في المنطقة الممتدة من جنوب البصرة حتى عمان الشمالي ثم يمتد غربا الى اجزاء من نجد .

ان الدارس لموقف هذه القوى القبلية من القوتين الكبيرتين المتصارعتين يلاحظ انها كانت متقلبة في ولائها نحوهما وذلك تبعاً لظروفها وما تأمل الحصول عليه من منافع من كل منهما . فهدف القبائل الذي يهملها قبل كل شيء هو الحصول على أكبر قدر ممكن من المغنم . الا أن المماليك كانوا في معظم الاحيان هم الفائزون بولاء هذه القبائل . ومهما يكن من أمر فأننا معنيون بالدرجة الأولى بمتابعة علاقة العصفوريين بهذه القوى ، وحديثنا سوف يقتصر عليهم بقدر ما تسعفنا به المصادر ..

وقبل كل شيء يجب القول أن المصادر لاتسعفنا لكي نقرر بدقة الموقف الذي اتخذه العصفوريون . من ظهور النفوذ المغولي في كل من ايران والعراق ، بالرغم من أننا نميل الى الافتراض بأن العصفوريين لم يأسفوا كثيرا لزوال دولة بني العباس وسبب هذا الافتراض أن العباسيين قد كانوا سنداً قوياً للعيونيين الذين كانوا يعترفون بتبعيةهم للخلافة العباسية ، ولابد أن زوال الامارة العيونية على يد الشيخ عصفور قد أدى الى توتر علاقاتهم بالعباسيين ، ولعل ذلك خلق خشية لدى بني عصفور من احتمال انتقام العباسيين ، هذا من

جهة ومن الجهة الأخرى فإن الخصم الآخر للعصفوريين وهم السلغريون الذين كانوا قد فرضوا سيطرتهم لفترة محدودة على اجزاء هامة من بلاد البحرين - هم أيضا اتباع للعباسيين ويعترفون بسيادتهم ، وكانوا قد فرضوا نفوذهم على الخليج بأسم الخلافة العباسية . فالغزو المغولي فضلا عن كونه قد ازال خطر العباسيين عن بنى عصفور ، فانه أيضا قد أدى الى اضعاف نفوذ السلغريين في الخليج الى حد كبير . الأمر الذى ربما أدى الى شعور بنى عصفور بنوع من الارتياح ، رغم الأخطار المحتملة على بلادهم من قبل المغول . هذا وكنا قد افترضنا سابقا بأن امارة العصفوريين ربما تعزز مركزها الاقتصادى والسياسى بتقاطرسيل المهاجرين من العراق وايران خصوصا من طبقة التجار واصحاب الأموال الهاربين فزعا من الخطر المغولى المحيق بهم ، وربما تعزز هذا المركز أكثر بظهور الصراع المغولى المملوكى .

على أن الأمر الذى لا لبس فيه ، هو نشوء علاقة جيدة ما بين بنى عصفور وسلطنة المماليك في مصر . فالقلقشندى ينقل عن الحمدانى المعاصر لما يروييه قوله ، بأن بنى عامر قد (وفدوا على السلطان بالديار المصرية في دولة الظاهر بيبرس (١٢٥٩/٦٥٨ - ١٢٧٧/٦٧٦) ، صحبة مقدمهم محمد بن أحمد بن العقيد « العقيدى » بن سنان بن غفيلة « عقيلة » بن شبانه بن عامر ، وعمولوا بأتم الاكرام وافيض عليهم سابغ الأنعام ، ولحظوا بعين الاعتناء^(٧٦) على انه لدينا ما يدل على أن هذه العلاقة الحسنة قد اصابها بعض الفتور بعد وفاة السلطان بيبرس فبتجدد الصراع على نطاق واسع وفى كافة الميادين بين المغول والمماليك قام آل فضل وآل مرا حلفاء المماليك بمهاجمة عرب البحرين عام ١٢٨٥/٦٨٤ - مثلما هاجموا المغول - ونهبوا اموالهم وقتلوا عددا من رجالهم وكان من

بينهم أحد زعمائهم المدعو على بن ماجد^(٧٧) . ان هذا الهجوم على بنى عصفور ربما كان قد تم بتوجيه من المماليك لأنهم كانوا قد حالفوا المغول . على أن تطور الأحداث كان قد ارغم الطرفين على اعادة توثيق علاقتهما . فالمغول كانوا قد سعوا لا للتحكم بطرق التجارة البرية عبر اوراسيا فحسب ، بل كانوا راغبين بالسيطرة أيضا على الطرق البحرية الرئيسية التى تربط البحر الأحمر والبحر العربى والخليج العربى بالصين والهند^(٧٨) فقد ارسل الایلخان ارغون ، البوذى المتعصب (١٢٨٤ - ٩١) فى عام ١٢٩٠/٦٨٩ يطلب مجئ مائتين من الجنوبيين الى بغداد على ان يعملوا في نهر دجلة هذا وقد صادف فى الوقت ذاته وجود سبعمائة شخص من الفرنك (من اطنى غربى اوربا فى بغداد ، وصلوها عن طريق البحر ، معترمين قضاء فصل الشتاء فيها . فما كان من الایلخان ارغون الا أن طلب منهم صنع سفينتين من نوع قادرغه . (غراب) Galley ، والتى هى من السفن التى تسير بالأشرعة والمجاديف ، وتستعمل للأغراض التجارية والحربية . ويمكن لكل سفينة من هذه السفن أن تحمل ما بين ١٠٠ - ١٢٠٠ شخص ، أما طولها فيتراوح ما بين ١٠٠ الى ٢٠٠ قدم . وكان هدف الایلخان من صنع هذه السفن ، هو تسييرها فى الخليج العربى والبحر العربى لعرقلة المواصلات التجارية ما بين الهند ومصر . الا أن هذه الخطة لم يكتب لها النجاح نظرا للنزاع الذى ثار بين الجنوبيين من بحارة السفينتين ، فانقسموا الى فئتين متناحرتين ، الأمر الذى أدى الى استحالة استمرار ابحار السفينتين وتنفيذ الخطة المرسومة^(٧٩) لهما .

ومن الطبيعى أن يدرك المماليك مدى الأخطار التى تهدد تجارتهم من جانب المغول ، فراقبوا هذا النشاط ويعملوا على التصدى له وافشاله . فالسلطان قلاوون كان قد ارسل عام

١٢٨٣/٦٨٢ وكذلك عام ١٢٨٨/٦٨٧ برسائل الى التجار في الهند والسند والصين وسيلان واليمن ، يدعوهم فيها للقدوم بتجارهم الى مصر والشام ويعدهم بحسن المعاملة^(٨٠) .

لقد كان الصراع - كما اسلفنا - ما بين المغول والمماليك يتخذ اشكالا مختلفة ويقع على محاور متعددة ، ولم يترك أى طرف فرصة لضرب الطرف الآخر واضعافه الا اهتبلها . فابو الفدا (ت ٧٣٢) . المؤرخ المعاصر للأحداث يذكر بأنه عندما طرد الشريف حميضة بن ابي ندى من اماره مكة ولجأ الى السلطان المغولى أو لجايكو خدابنده محمد بن ارغون (٧٠٣/١٣٠٤ - ٧١٦/١٣١٦) في بغداد واستنجد به لاعادته الى مكة ومبدا استعداده في مقابل المساعدة التى تقدم اليه لأن يعلن تبعية مكة لسلطنة المغول في العراق وايران . فما كان من السلطان خدابنده محمد الا أن رحب بذلك معتبرا اياها فرصة ثمينة لتوجيه ضربة موجعة لهيئة وسمعة سلاطين المماليك في العالم الاسلامى وان يحل المغول محلهم في هذا النفوذ . وعليه فقد جهز السلطان خدابنده عام ٧١٦/١٣١٦ الشريف حميضة بقوة تتألف من عشرة آلاف مقاتل من المغول والعرب واسندت قيادتها الى الأمير طالب الدلقندى الحسينى نائب المغول في البصرة . وقد سارت الحملة الى مكة سالكة الطريق عبر بلاد البحرين . أن سلوك هذه القوة عن هذا الطريق ليعكس اطمئنان المغول من عدم تعرضها لهجوم قبائل بنى عامر . والواقع فان بلاد البحرين في هذه الفترة كانت قد اصبحت تدين بالتبعية لأسرة الطيبين العربية والتي كانت تحكم اقليم فارس ومعظم جزر وسواحل الخليج العربى . وكان الطيبيون في نفس الوقت يحكمون في معظم هذه المناطق بأسم المغول ، كما يقومون بدفع مبالغ سنوية الى زعماء العصفوريين لتسكينهم ولكى يقفوا الى جانبهم عسكريا عندما تدعو الحاجة لذلك .

ومن خلال هذه العلاقات المتشابكة التى يرتبط بها العصفوريون يمكن لنا أن نعلل السبب في عدم تعرض هذه القوة لهجومهم عند وصولها الى القطيف ، ان لم يكن هناك سبب آخر كالخشية من هذه القوة الضخمة نفسها .

لقد اثارت أنباء الاستعدادات التى تجرى لارسال هذه الحملة ضد مكة ، ذعرا شديدا لدى السلطان المملوكى الناصر محمد قلاوون ، خصوصا اذا ما عرفنا بأن السلطان المغولى خدابنده محمد كان ينتمى الى المذهب الشيعى ، الأمر الذى أدخل عنصرا جديدا في الصراع ما بين القوتين . لذا فقد سارع السلطان الناصر قلاوون بارسال الأوامر الى قبائل طى وامرائهم من آل فضل بأن يهاجموا القوة المتجهة نحو مكة ، كما ارسلت الأوامر لاثارة كافة القبائل العربية للتحرك ضد هذه الحملة خصوصا قبائل جنوب العراق ، وربما تم الاتصال أيضا بالعصفوريين .

ومهما يكن من أمر فان هذه الحملة قد اصبحت بكارثة كبيرة . فعند وصولها الى القطيف وصلتها الأخبار بوفاة السلطان خدابنده وبأن على رجال الحملة أن يتفرقوا . وقد هيات هذه الظروف فرصة جيدة لقبائل طى - التى كانت قد وصلت البصرة في أثر الحملة وانضمت اليها قبائل البصرة - لكى تهاجم هذه الحملة في طريق تراجعها فأوقعت بها خسائر مادية كبيرة ، وقد وصف ما غنم من هذه الحملة من اموال « بأنه شيء عظيم »^(٨١) . على اننا لانستطيع أن نقرر الموقف الذى كان قد اتخذه بنو عصفور من الحملة وهى تواجه هذا المصير ، فهل شاركوا في الهجوم عليها أم لا ؟ والذى يبدو أن غالبيتهم قد وقفوا على الحياد تاركين الحملة تلاقى مصيرها ومعنى ذلك أن التزاماتهم العسكرية تجاه الطيبين غير ملزمة لهم بمساعدة المغول .

على أن مواقف العصفوريين قد اضحت

أوضح من السابق فيما وقع من أحداث لاحقة ، فأبو الفدا يذكر بأنه حين أظهر الأمير مهنا أمير طى في بلاد الشام والعراق عصيانه على السلطان الناصر قلاوون وقيامه بتهديد أرياف الشام وطرق التجارة التى تربطها بالعراق . ثم قيام أخيه فضل بن عيسى بالذهاب الى بغداد والالتجاء بالسلطان المغولى ابي سعيد بن أولجايتو (١٣١٦ - ٣٥) ، الذى رحب به كثيرا واقطعه البصرة . فما كاد الأمير فضل بن عيسى الطائى يستقر فى البصرة واتباعه حتى قام بنو عصفور عام ٧١٨/١٣١٨ بمهاجمته وطردوه من البصرة . فسارع أخوه الأمير مهنا لنجدته وتوجه صوب بنى عصفور ، الا انه اضطر لسبب ما الى الانسحاب من دون أن يدخل فى معركة معهم ، وقد غنم بنو عامر اموالا طائلة تعود لقبائل طى واتباعهم وقد قدرت بما يزيد على العشرة آلاف بغير^(٨٢) .

ان قيام العصفوريين بمهاجمة آل فضل واتباعهم فى البصرة يمكن أن يعزى الى احد السببين التاليين : الأول أن يكون قد تم بايعاز من السلطان الناصر قلاوون للانتقام له من آل فضل ، والثانى وقد يكون هو الأرجح أن يكون قد تم بتحريض من الملك عز الدين عبدالعزیز بن ابراهيم الطيبى (٧٢٥/١٣٢٥) والذى سبق ان ذكرنا بأنه كان يحكم اقليم فارس ومعظم اجزاء الخليج العربى . وان العراق العربى بما فيه البصرة كان قد اقطعه المغول لوالده ثم اقطع له أيضا بعد أن اعقب والده فى السلطة . فقيام السلطان أبوسعيد باقطاع البصرة لآل فضل كان يعنى خسارة مادية للطيبين ، فطرد آل فضل من البصرة من قبل العصفوريين الذين يدينون بالتبعية لعز الدين عبدالعزیز ربما قد يرغم السلطان أبا سعيد على إعادة اقطاعها للطيبين كما كان فى السابق .

ومهما يكن من أمر فإن هجوم العصفوريين

على آل فضل فى البصرة كان فيه خدمة لكل من الممالك والطيبين معا .

على أن العلاقة بين بنى عصفور وسلطين الممالك فى مصر قد دخلت مرحلة جديدة من القوة والرسوخ فى عهد السلطان الناصر قلاوون والذى تولى السلطنة ثلاث مرات اطولها واهمها الفترة التى امتدت من ٧٠٩ الى ٧٤١ - ١٣٠٩ - ٤٠ ، ويبدو أن هذا السلطان كان يدرك أكثر من غيره مدى النفع السياسى والعسكرى والاقتصادى الذى يمكن أن تؤديه العلاقة الحسنة مع امراء العصفوريين . والأدلة التى سوف نوردها تؤكد لنا قيام مثل هذه العلاقة . ويبدو أن أحد اشكال هذا التعاون هو أن يتولى العصفوريون التعرض لقوافل الحجاج العراقيين والاييرانيين التى قد تسير تحت راية السلطنة المغولية وذلك لمنعها من تحقيق أى كسب سياسى أو اقتصادى من ذلك . الا انه بعد ما تصالح السلطان الايلخانى ابوسعيد مع السلطان الناصر قلاوون قام مباشرة بتسيير قافلة الحج العراقية من البصرة عام ٧٢١/١٣٢١ ، قام العصفوريون باعتراض طريق هذه القافلة بألف فارس وارادوا نهبها . فما كان من المسؤولين عن قيادة القافلة الا أن سارعوا لابلاغ بنى عصفور بأن القافلة قد سيرت بموافقة السلطان الناصر ، وعندما تأكد لبني عصفور الأمر اجابوهم - لأجل الناصر نخفركم بغير شئ - وسمحوا للقافلة بمواصلة السير الى مكة .

فلما بلغ ذلك الأمر السلطان الناصر سر به وبالغ فى الانعام على بنى عصفور^(٨٢) .

على أن ابن فضل الله العمرى يروى لنا ما يدل على قوة العلاقة ما بين العصفوريين والسلطان الناصر قلاوون اذ يقول « بأن بنى عامر قد توالى وفادتهم على الأبواب العالية الناصرية واغرقتهم تلك الصدقات بديمها ، فاستجلبت النائى منهم وبرز الأمر السلطانى

الى آل فضل رؤساء بوادى الشام بتسهيل الطريق لوفودهم وقصادهم ، وتأمينهم في الورد والعود ، وانتالت عليه جماعتهم ، واخضعت له طاعتهم ... ثم ان ابن فضل الله قد اوضح بأن بنى عامر قد استمروا في التردد على مصر باعداد كبيرة ، حيث قال « فكان لايزال منهم وفود بعد وفود ، وكان منزلهم تحت دار الضيافة ، لايزال يسد تلك الرحاب ويغص بقباية تلك الهضاب ، بخيام مشدودة بخيام ، ورجال بين قعود وقيام » ثم قال « وكانت الأمرة فيهم في اولاد مانع بن عصفور الى بقية امراء فيهم وكبراء لهم »^(٨٤) . وقد ذكر لنا ابن فضل الله بعض اسماء زعماء بنى عصفور الذين وفدوا على السلطان الناصر قلاوون عدة مرات والتقى هو بهم ، فذكر منهم هلال بن ابي الحسين العامرى العقيلي ، والذي وصفه بأنه من كبار قومه^(٨٥) . وكلبى بن ماجد العقيلي ، والذي قابله ابن فضل الله عام (٨٣٢/١٤٣١) في مصر وسمع منه بعضا من شعره ، ووصفه بأنه من امراء البحرين وانه ذو وقار واجلال^(٨٦) .

والواقع فان الجهاز المملوكى المعقد كان يضم في اقسامه ، قسما خاصا مهمته متابعة شئون القبائل . وهذه الدائرة تسمى المهندارية ، والموظف المسئول عنها يسمى المهندار^(٨٧) .

كما أن الادارة المملوكية قد اعتنت عناية خاصة بمراتب رؤساء القبائل ، فقسمتهم الى رتب كل بحسب قوته وسعة نفوذه والخدمات المتوقعة منه . وعلى أساس هذه الأهمية ثبت اسلوب مكاتبته والألقاب التى يجب أن تذكر عند مراسلته .

وفيما يخص امراء بنى عصفور ، فبعد أن ضببط اسمائهم ، صنفوا الى ثلاث مراتب . فأصبحت القابهم التى ترد في المراسلات معهم على الشكل التالى : فالمرتبة الأولى منهم

يخاطبون في الرسائل بالمجلس السامى الأميرى . أما المرتبة الثانية فيخاطبون في الرسائل بالقباب مجردة من ياء النسب . كالمجلس السامى الأمير أما الذين يأتون في المرتبة الثالثة فيخاطبون بلقب مجلس الأمير^(٨٨) .

هذا وقد اورد القلقشندي قائمة تتضمن اسماء امراء بنى عصفور ومرتبة كل منهم في سلم المخاطبات السلطانية ، كل حسب أهميته . وسوف نورد هذه الأسماء في الموضع المناسب ، محاولين الاستفادة منها في معرفة نوع الادارة في الامارة العصفورية العامرية .

بقى لدينا اشارة واحدة يجمل بنا ذكرها ، وهى تخص العلاقة ما بين بنى عصفور ومغول العراق . فقد ذكر الحسينى (٧٦٥/١٣٦٣ - ٦٤) بأنه في عام ٧٥٥/١٣٥٤ قام عرب البحرين بمهاجمة البصرة بهدف الاستيلاء عليها ، فتصدت لهم قوات المغول ، الا انها عجزت عن صدهم ومنيت بهزيمة . فما كان من حاكم العراق الشيخ حسن الكبير الجلائرى - الذى كان قد خلف المغول الالخانيين بعد انقراض دولتهم - الا أن استنجد بالأمير فواز بن مهنا الطائى أحد شيوخ آل فضل والمتحالف مع الجلائريين فاستطاع الأمير فواز ايقاع الهزيمة بعرب البحرين من بنى عصفور بعد أن قتل من الفريقين عدد كبير^(٨٩) .

والذى يبدو لنا أن هجوم بنى عصفور على البصرة كان بهدف تعويض خسارتهم الاقتصادية والسياسية باستيلاء ملك هرموز على جزر البحرين وارغام الأمراء في بقية اجزاء بلاد البحرين على أن يدينوا له بالتبعية ، وهذا ما سوف نشير اليه عند الحديث عن علاقة بلاد البحرين بمملكة هرموز .

يتضح لنا مما سبق بأن سلاطين الماليك في مصر كانوا أوفر حظا ونشاطا من المغول في كسب

ولاء رؤساء القبائل العربية المختلفة بما فيهم بنى عصفور ، وعلى امتداد رقعة جغرافية واسعة كما كانوا أكثر تقديرا للأدوار التي يمكن للقبائل العربية أن تنهض بها في صنع الأحداث .

علاقة العصفوريين بالطيبين حكام فارس وجزيرة قيس

ان الاضطراب في الحياة السياسية والاقتصادية في ايران والذي رافق ظهور المغول فيها ، قد انعكس أثره أيضا في مناطق واسعة من الخليج العربي ، وكان من أبرز نتائج ذلك ضمور بعض القوى السياسية فيه وانكماش حجمها وظهور قوى جديدة نشطت لملء الفراغ في المنطقة . ففي حدود عام ١٢٤٤/٦٤٢ - ٤٥ قام الأمير محمود بن أحمد الكوسى القلهاى - الذى ينحدر من أصل عربى ، كما تذكره الشاهنامه - بالاستيلاء على السلطة في مملكة هرموز^(٩٠) لينهى بذلك السلالة الحاكمة القديمة ويؤسس سلالة جديدة أخذت تلعب دورا خطيرا في الحياة السياسية والاقتصادية للخليج العربى لفترة طويلة . ولقد تطلعت نفس هذا الأمير الطموح لبسط نفوذه على كافة سواحل الخليج العربى والبحر العربى ، فقام في العقد السابع من القرن السابع/الثالث عشر ، بقيادة حملة بحرية وبرية كبيرة هدفها إخضاع عمان الداخل . الا ان هدفه هذا سرعان ما اصطدم بمعارضة من قبل أمراء عمان الداخل من النبهانيين ، مما جعله يغير في اتجاه حملته ويوجهها نحو ظفار التى كانت تحكمها أسرة الحيوذين . وقد شن هجوما بحريا عليها بعد أن جند عددا كبيرا من العرب وفتك بأهلها ونهبها نهباً ذريعاً وانسحب بعدها عائداً الى قاعدته قلهاى . الا ان هذا النصر الذى أحرزه الأمير محمود القلهاى لم يمدون أن يدفع ثمنه

غاليا . فقد تاهت قواته في الصحراء وهى في طريق عودتها برا الى مواطنها ، فمات عدد كبير من افراد هذه القوات جوعا وعطشا . اما بقية أفراد هذه الحملة والتي تركت كحامية في قلهاى ومعها عدد من السفن ، فقد تعرضت هى الأخرى لهجوم شنه عليها رجال قبيلة بنى جابر ، فأبادوها وأحرقوا سفنهم الراسية في الميناء . ولقد قدرت المصادر العمانية عدد الذين كانوا قد هلكوا من أفراد هذه الحملة بخمسة آلاف رجل^(٩١) .

ولقد أخطأ ولكنسون حينما ذكر بأن أمير هرموز محمود بن أحمد القلهاى كان من بين الذين هلكوا في هذه الحملة^(٩٢) ، اذ ان الأمير القلهاى قد عاش فترة غير قصيرة بعد هذه الحملة .

ان هذه النكبة التى أصيبت بها قوات الأمير محمود القلهاى لم توقف طموحة للسيطرة على مناطق الخليج العربى ، فقد قام في حدود عام ١٢٧١/٦٧٠ بحملة بحرية ضد جزيرة قيس احدى أهم المراكز التجارية في الخليج - وتمكن من الاستيلاء عليها . كما تمكن في حدود هذا التاريخ من إخضاع جزر البحرين والقطيف .

ويعدد لنا الشبانكارى (ألف كتابه في حدود عام ١٣٤٢/٧٤٣ - ٤٣) ونطنزى (ألف كتابه في حدود ١٤١٣/٨١٦) المناطق التى كان قد أخضعها الأمير محمود بن أحمد القلهاى لسيطرته ، بأنها قد شملت كلا من ظفار وقلهاى وقيس والبحرين والقطيف ونزوين^(٩٣) ، وان نفوذه أخذ يمتد من الهند حتى البصرة^(٩٤) .

والذى يبدو لنا ان الأمير محمود قلهاى لم يتمتع بنفوذه طويلا في جزر وسواحل بلاد البحرين ، اذ ان اتساع سلطته كان يهدد مشاريع المغول الاستراتيجية في السيطرة على طرق التجارة مابين المحيط الهندى والبحار العربية ، لذا فقد قام الحاكم المغولى لبلاد فارس سوغونجاق ببناء اسطول في خورسيف عند

سواحل فارس وهاجم به أساطيل أمير هرموز عام ١٢٧٢/٦٧١ . الا ان هذه الحملة منيت بهزيمة كبيرة ، فما كان من سوغونجاق الا أن عاود الكرة مرة أخرى وقام باستعدادات أكبر ، فبنى سفنا جديدة كما صادر سفن بنى عصفور ورعاياهم من سواحل وجزر بلاد البحرين واستطاع بذلك تحقيق النصر على اسطول الأمير محمود القلھاتی وتعقبه حتى قلھات .

ان البروفسور أوبين بيدي شكوكه في الرواية القائلة بأن الأمير القلھاتی كان قد استطاع اخضاع جزر البحرين والقطيف . فهو يرى بأنه من غير الممكن لأمر هرموز بعد الهزيمة التي أحاقها بأسطوله أمام اسطول المغول أن يستطيع السيطرة على هذه الأجزاء^(٩٥) .

الا اننا نقول بأنه ليس هناك من مصدر يشير بأنه قد تم للأمر محمود القلھاتی بسط نفوذه على جزر وسواحل بلاد البحرين بعد هزيمته أمام المغول . ان الأكثر قبولاً أن يقال بأنه يستبعد على أمير هرموز أن يحتفظ بسلطته على بلاد البحرين بعد هذه الهزيمة ومهما يكن من أمر فان الفترة التي سيطر فيها أمير هرموز على بلاد البحرين ربما كانت قصيرة جدا .

ومما هو جدير بالذكر ان النبهانی قد ذكر بأن جزر البحرين كانت قد خضعت لحكم المغول مباشرة بعد زوال سلطة السلغريين ، من دون أن يبين سنده التاريخي في ذلك^(٩٦) . ولقد تابعه في ذلك آخرون ممن نقل عنه دون أدنى تحييص . ان الأدلة التي أوردناها أو التي سوف نوردتها تضعف هذا التصور الى حد كبير . ويمكن أن نوضح ابتداءً بأن جزر البحرين يصعب اخضاعها بالقوة الا لمن يملك قوة بحرية ضاربة في الخليج العربي . وحيث ان المغول لم تتوفر لديهم مثل هذه القوة لذا فان فرض سيادتهم عليها أمر مشكوك فيه الى حد بعيد .

ومهما يكن من أمر فان مالدينا من أدلة تكفي

للقول بأن العصفوريين كانوا في هذه الفترة يتمتعون بسلطة كاملة في بلاد البحرين وانهم أقاموا علاقة حسنة مع السلطان المملوكي الظاهر بيبرس على الرغم من العداء القائم بين هذا السلطان والمغول في العراق وايران . أما بخصوص ظفار فان الحبوضيين كانوا أصحاب السلطة الواسعة فيها كما كانوا أصحاب النفوذ الأقوى في حضرموت أيضا الى الحد الذي جعلهم يتحدون الدولة الرسولية في اليمن .. ومما هو جدير بالذكر ان كلا من ظفار والبحرين هي من المناطق التي ذكرتها المصادر بأنها كانت خاضعة للأمير محمود القلھاتی .

لقد كانت هناك صلات قوية ما بين العصفوريين في البحرين والحبوضيين في ظفار وحضرموت خلال هذه الفترة ونستدل على ذلك من انه عندما قام سلطان اليمن المظفر الرسولي عام ١٢٧٩/٦٨٩ بإرسال حملة ضد ظفار الحبوضي ، ووصلت هذه القوات الى ظفار ، سرت اشاعة مفادها ان قوات بلاد البحرين قد وصلت لنجدة الحبوضيين مما أثار مخاوف القوات اليمنية . وبالرغم من اننا لا نملك معلومات كافية عن مدى صحة هذه الاشاعات التي راجت في حينها ، الا ان مجرد انتشارها يعكس في الواقع وجود الصلة المتينة ما بين ظفار الحبوضي وحكام البحرين . على ان موقف أمراء بنى عصفور من ظفار سرعان ما تغير بعد أن نجح سلطان اليمن في انتهاء حكم الحبوضيين فيها . فالخزرجي مؤرخ الدولة الرسولية ، يذكر بأنه « لما افتتح السلطان مدينة ظفار وقتل سالم بن ادريس ارتعدت الأقطار القصية هيبة للسلطان وامتلات من خوفه قلوب ملوك فارس وأصحاب الهند والصين .. فأرسل صاحب عمان بهديته .. ووصلت هدايا صاحب الصين ، ووصل صاحب البحرين الى زبيد^(٩٧) .. » ان كل ما نستطيع قوله مع كثير من التحفظ هو انه في أواخر القرن السابع/الثالث عشر ارتبطت

بلاد البحرين بنوع من العلاقة الغير مباشرة بالمغول . اذ انه في عام ٦٩٢/١٢٩٣ أقطع الايلخان كيخاتو (١٢٩١/٦٩٠ - ١٢٩٥/٦٩٤) سلطان العراق وايران ، اقليم فارس بما فيه جزيرة قيس الى تاجر عراقي اسمه جمال الدين ابراهيم بن محمد الطيبي الملقب بابن السواملي^(٩٨) لمدة أربعة أعوام . و ابراهيم هذا كان قد استطاع أن يجمع له ثروة طائلة من تجارة اللؤلؤ والخيول ومن احتكار التجارة ما بين الخليج العربي والمحيط الهندي وامتلك ما يقرب من مائة سفينة . فهو في عرف ذلك الزمان من أصحاب الملايين . ولقد حصل جمال الدين ابراهيم الطيبي من الايلخان المغولي على كل امتيازات الحاكم المستقل ، فقد منح لقب ملك الاسلام وأن تضرب له النوبة في بابه ثلاث مرات^(٩٩) . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان المقصود بالاقطاع الذي منحه الايلخان كيخاتو الى جمال الدين ابراهيم الطيبي ليس شبيها بالاقطاع الأوربي أو الاقطاع الحربي ولا يقابل كلمة Fief بل ان المقصود به هو التفويض لشخص ما بإدارة اقليم من الأقاليم إدارة شبه مستقلة مقابل قيامه بدفع مبالغ سنوية مقررة الى الخزينة المركزية للدولة الايلخانية^(١٠٠) . ومهما يكن من أمر فانه لم تكد تضي سنة واحدة على تسلم ابراهيم الطيبي إدارة اقليم فارس وجزيرة قيس حتى تمكن من التخلص من موظفي الإدارة المغولية ، وأخذ يحكم فيها حكما شبه مستقل .

ولقد استطاع ابراهيم هذا أن يدخل كلا من القطيف والحسا وجزر البحرين الى دائرة نفوذه السياسي والاقتصادي ، مستغلا الخلافات الحادة بين الأمراء العصفوريين ومعتمدا على قوته الخاصة دون الاستعانة بالمغول كما استطاع أن يدخل في دائرة نفوذه أيضا العراق العربي بما فيه المدينتين الهامتين واسط

وبالبحرة ، بعد أن كان قد أقطعهما اليه السلطان الايلخاني غازان (١٢٩٥ - ١٣٠٤) ، عام ٦٩٦/١٢٩٦ ولدة ثلاث سنوات^(١٠١) . وخلال فترة تمتعه بالسلطة والتي امتدت حتى عام ٧٠٦/١٣٠٦ - ٧ تمكّن من احتكار التجارة ما بين الخليج العربي والمحيط الهندي ، بالتعاون مع أخيه تاج الدين عبدالرحمن الطيبي ، والذي كان هو الآخر قد استقل بحكم بعض المدن الساحلية في الهند^(١٠٢) .

ومن أجل كسب رضى وولاء زعماء بنى عصفور في بلاد البحرين لجأ ملك الاسلام ابراهيم الطيبي الى اعطائهم مبالغ من المال سنويا^(١٠٣) . مثلما كان يفعل السلفيون .

ان ظهور الزعامة السياسية لملك الاسلام جمال الدين ابراهيم بن محمد الطيبي ، في الخليج العربي تمثل أصدق تمثيل ماسبق ان ذكرناه عند الحديث عن سمات مجتمع الخليج العربي بأنه قد أفرز زعامات سياسية معتمدة على قوتها الاقتصادية وعلى كثرة أتباعها الذين يدينون لها بالتبعية الاقتصادية وانهم في قوتهم يوازنون قوة الشيوخ والحكام . وهؤلاء هم تجار اللؤلؤ والخيول وأصحاب السفن . لقد استطاع ابراهيم الطيبي أن يؤسس سلالة عربية حاكمة في الخليج العربي تمكنت من السيطرة سياسيا واقتصاديا على كافة سواحله بل امتد نفوذهم الى السواحل الهندية . ومن المؤسف حقا أن يعتمد باحث إيراني معروف هو المرحوم عباس اقبال الى اهمال الانتماء العربي لهذه الأسرة ، مثلما تجاهل أيضا ما ذكرته المصادر التي اعتمد عليها من ان الغالبية العظمى من سكان الساحل الإيراني هم من العرب . ولا يمكن أن يعزى ذلك الا الى شدة تعصبه ضد العرب وتسخير بحثه لدعم ادعاءات سياسية معروفة .

بعد وفاة جمال الدين ابراهيم الطيبي عام ٧٠٦/١٣٠٧ أعقبه في السلطة ولده عزالدین

عبد العزيز ، كما ان بقية اولاده كانوا يحكمون في مناطق مختلفة من الخليج خصوصا في جزيرة قيس . وقد استمر نفوذهم قائما في البصرة وبلاد البحرين^(١٠٤) . ومن المحتمل جدا ان العصفوريين قد اشتركوا الى جانبهم - بحكم ماتفرضه عليهم شروط التبعية - في الحرب التي دارت بين حكام هرموز وعزالدين عبدالعزيز الطبيي والتي استمرت لمدة ثلاث سنوات وانتهت لصالح الطبييين^(١٠٥) . وقد بلغت أسرة الطبييين أوج قوتها واتساع نفوذها في هذه الفترة .

بعد وفاة الملك عزالدين عبدالعزيز الطبيي عام ١٣٢٥/٧٢٥ ثار النزاع حول السلطة بين أحفاد جمال الدين ابراهيم الطبيي ، مما أضعفهم كثيرا وانتهى الأمر بهم الى الزوال من اقليم فارس أولا على يد محمود شاه اينجو الذي نجح في تأسيس أسرة حاكمة في هذا الاقليم عام ١٣٢٥/٧٢٥ . وثانيا من جزيرة قيس على يد أمير هرموز قطب الدين تهمتن الثاني وذلك في حدود عام ١٣٣٠/٧٣١ . فلقد استطاع الأخير الاستيلاء على جزيرة قيس وهى القاعدة الرئيسية لنفوذ الطبييين السياسى والاقتصادى في الخليج العربى ، كما استولى تهمتن فيما بعد على جزر البحرين أيضا .

ولقد استغل أمير هرموز قطب الدين تهمتن الثانى ، الفوضى التي عمت ايران والعراق في أعقاب وفاة السلطان المغولى أبى سعيد عام ١٣٣٥/٧٣٦ فاستولى على القطيف وأجزاء من السواحل العربية للخليج^(١٠٦) . وفي هذا الصدد يقول الرحالة العربى الشهير ابن بطوطة - الذى كان قد زار الخليج العربى مرتين - بأنه بعد وفاة السلطان سعيد الايلخانى تغلب المتغلبون على ملكه فمنهم الملك قطب الدين تهمتن (تهمتن) تغلب على هرمز وكيش (التسمية الفارسية لقيس) والقطيف والبحرين وقلهات^(١٠٧) .

يتضح لنا مما سبق بأن بلاد البحرين لم تخضع لنفوذ المغول المباشر ، كما ذهب الخيال بالنهبانى انما كانت خاضعة لمدة تقرب من أربعة عقود من السنين لأسرة عربية هى أسرة الطبييين وانهم قد فرضوا نفوذهم عليها بقوتهم الخاصة . وان نفوذ الطبييين كان يتركز في الاشراف على شئونها المالية ، خصوصا واردات الكمارك وتركوا شؤونها الداخلية لأمرأى بنى عصفور من آل عامر ، مع دفع مبالغ سنوية لهم على أن يقدموا الدعم العسكرى للطبييين كلما دعت الحاجة الى ذلك . ويمكننا أن نستثنى جزر البحرين من ذلك . اذ ربما كان للطبييين عليها اشراف أوسع من بقية بلاد البحرين نظرا لموقعها وأهمية مواردها . ويمكن أن نستدل على ذلك من قول المستوفى القزوينى (ألف كتابه عام ١٣٤٠/٧٤٠) من ان كلا من البحرين والاحساء والقطيف والخط ودارين كانت في السابق تعتبر من مملكة العرب ، أما في الوقت الحاضر فان جزيرة البحرين تدخل اداريا ضمن اقليم فارس أما القطيف والاحساء والأماكن المجاورة لها فهى لا تعترف في معظم الأوقات بحكام البحرين^(١٠٨) . والذى يفهم مما ذكره المستوفى ، ان هذا الوضع في بلاد البحرين ، هو الذى كان سائدا في عهد الطبييين ، بل ربما كان كذلك في عهد ملك هرموز قطب الدين تهمتن الثانى . ولعل أبرز دليل على تحرر بلاد البحرين من التبعية للمغول هو ما أسلفنا ذكره من قيام العصفوريين بالهجوم على البصرة بهدف احتلالها وهى جزء من السلطنة الايلخانية وذلك عام ١٣١٨/٧١٨ ثم تعرضهم لقافلة الحج العراقية التى أرسلها السلطان أبو سعيد عام ١٣٢١/٧٢١ . وأخيرا علاقتهم الوثيقة بممالك مصر خصوم المغول خصوصا في عهد السلطان الناصر قلاوون .

ان بلاد البحرين قد بقيت في هذه الفترة تحكم من قبل العصفوريين وهذا ماسبق ان

أوردناه نقلا عن ابن فضل الله العمري المعاصر لهذه الفترة .

ولعل القلقشندى كان يدرك ماسوف يثور من جدل حول الهوية السياسية لبلاد البحرين خلال هذه الفترات الغامضة . فقطع جازما بالقول « بأن بلاد البحرين لم تزل بيد العرب » (١٠٩) ومن المؤسف حقا ان ابن بطوطة الذى قد زار كلا من جزر البحرين والقطيف والحسا خلال زيارته للخليج العربى فى حدود عام ١٣٣٢/٧٣٢ لم يذكر لنا أسماء حكام هذه المناطق أو طبيعة علاقتهم بمملكة هرموز ، فأضاع بذلك علينا الفرصة للكشف عما يكتنف هذه الفترة من غموض . ومن الغريب ان رنزدق نسب الى ابن بطوطة القول بأن القطيف كانت تحكم من قبل أسرة جروان العقيلي (١١٠) . وهذا مالم يقله ابن بطوطة قط وما هو الا تخليط من رنزدق . ان ابن حجر العسقلانى هو الذى انفرد بهذه الرواية ونقلها عنه السخاوى ، وهذا ماسوف نشير اليه فى موضعه المناسب . والذى نميل اليه هو ان بلاد البحرين لم تكن خاضعة لأحد عند زيارة ابن بطوطة لها وانه لم يقابل أمراءها لكونهم متغييبين عن المدن التى مربها ثم انه لم يمكث فيها الا فترة قصيرة .

لقد بقى أن نقول بأن العملة المكتشفة فى جزر البحرين من قبل البعثة الاثرية الدنماركية وهى تحمل اسم بادشاه أبو سعيد ، يمكن أن تصلح دليلا للعلاقة التى تربط هذه الجزر بحكومة الطيبين . ومن الغريب حقا ان يذهب الخيال بنيقولاس لويك الى القول بأن هذه النقود من المحتمل انها تعود الى حاكم ينحدر من أسرة أبى سعيد الجنايى ، حكم فى جزر البحرين فى هذه الفترة (١١١) .

علاقة العصفوريين بمملكة

هرموز

بدخول اماره العصفوريين ضمن دائرة نفوذ قطب الدين تهمتن الثانى فى نهاية العقد الرابع

من القرن الثامن/ الرابع عشر ، تكون الامارة قد بدأت فترة جديدة فى تأريخها اذ ان صلة بلاد البحرين بمملكة هرموز قد استمرت بعد ذلك لمدة تزيد قليلا على القرن ونصف القرن .

والواقع فأن الفترة الاخيرة من عهد تهمتن الثانى تمثل بداية عهد من القوة والازدهار شهدتها مملكة هرموز . اذ بدأت تحل فى الزعامة السياسية والاقتصادية محل جزيرة قيس بعد ان زال منها حكم الطيبين ، على ان عهد تهمتن الثانى بالرغم من ذلك لم يخل من بعض المشاكل الداخلية . ففى ربيع عام ٧٤٥ / ١٣٤٥ وخلال غيابه عن جزيرة هرموز ، دبر اخوه نظام الدين كيقباز ثورة ضده فى الجزيرة ونصب نفسه على اثرها ملكا فيها ، ولم تتجح محاولات تهمتن لاستعادة عرشه ، الا بعد الوفاة المفاجئة لاخته كيقباز . وقد خلف ولدين هما شادى وشنبه اللذين عجزا عن الاحتفاظ بالسلطة من بعده فهربا بالخزائن والاموال ومعهم عساكرهم الى جزر البحرين حيث سيطرا عليها . لكنهما لم يركنا الى الهدوء بعد استقرارهما فى البحرين ، اذ تطلعت نفوسهما للسيطرة على جزيرة قيس ونجحا فى ذلك حيث اتخذ شادى من قيس مركزا لحكومته . وقد مثل هذا التوسع الذى قام به الاخوان شادى وشنبه تهديدا خطيرا لمملكة هرموز ، فجهز تهمتن ضدهما حملة بحرية هدفها استعادة قيس منهما ، الا انه فشل فى حملته الاولى . وعندما عاود الكرة فى حملته ثانية نجح فى استعادة جزيرة قيس ، مما اضطر شادى الى الهرب واللجوء الى جزر البحرين . وعلى الرغم من ذلك فأن الاخوين شادى وشنبه لم تفت فى عضدهما هذه الهزيمة وواصلوا الاستعدادات لاستعادة جزيرة قيس . وعندما تهيأت لهما الظروف انطلقا من جزيرة البحرين بحملة بحرية كبيرة تمكنا بها من الاستيلاء على قيس ثم انطلقا منها لاكمال ما اعتزما احتلاله من اراض . ومن الطبيعى ان يتحرك عمهما ملك هرموز قطب الدين تهمتن الثانى لصدها هذا الخطر الداهم على ملكه ، وقد تمكن بعد معارك بحرية عديدة من استرجاع ما استوليا عليه من

مناطق وخاصة جزيرة قيس . وكان من نتيجة هذه الهزيمة التي حاقت بالآخوين ان ثار بينهما النزاع ، اذ أن شادى قد حمل اخاه شنبه مسؤولية هذه الهزيمة مما اضطر الاخير الى الهرب من البحرين والالتجاء الى شيراز (١١٢) . ومن الجدير بالذكر ان ابن بطوطة عندما زار جزيرة هرموز عام ٧٤٧/١٣٣٦ كان ملكها قطب الدين تهمتن الثانى مشغولا بحربه مع ابناء اخيه . وقد قال ابن بطوطة بأن هذه الحرب قد سببت ضررا كبيرا لتجارة الخليج العربى وخصوصا لبلاد البحرين ، التى قال عنها بأن معظمها قد تخرب لتعرضها لهجمات شادى وشنبه (١١٣) .

ومهما يكن من أمر فأننا لا نملك أى معلومات عن موقف بنى عصفور خاصة وسكان بلاد البحرين عموما من هذه الحروب . الا انه يفهم من كلام ابن بطوطة بأن الآخوين شادى وشنبه كانا قد حاولا الاستيلاء على سواحل بلاد البحرين وقاما بعدة هجمات عليها الا انها صا في جميع هجماتها هذه . وكانت النتيجة ان اصبحت بلاد البحرين باضرار مادية كبيرة .

وعندما توفي ملك هرموز قطب الدين تهمتن الثانى عام ٧٤٨/١٣٤٧ - ٤٨ حاول شادى الاستفادة من هذا الظرف فانطلق بحملة بحرية جديدة من جزير البحرين وتمكن بواسطتها من الاستيلاء على جزيرة قيس . وكان على ملك هرموز الجديد تورانشاه الذى اعقب والده فى الحكم ، ان يحسم الوضع مع ابناء عمه لذا فقد جرد حملة ضد شادى وتمكن بعد معارك من طرده من قيس واضطره للهرب الى جزيرة البحرين . ولم تمض الا مدة قصيرة على عودته الى البحرين حتى وافاه الاجل مخلفا ولدا صغيرا .

وعندما علم تورانشاه بوفاة ابن عمه ، لم يتحرك نحو البحرين بل انه اعطى حكم الجزيرة لابن شادى الصغير . الا ان شنبه الذى كان يراقب الموقف عن كُتب وهو فى شيراز ، سارع الى جزيرة البحرين واستولى على السلطة فيها

بعد ان قتل ابن اخيه ونكل بقسوة بكافة اتباع اخيه ممن كان قد وقف ضده عندما تنازع مع اخيه . لقد اشاع شنبه الرعب فى الجزيرة فأخذ يهرب منها سكانها خشية من بطشه . وفى هذا الجو الارهابى الذى خلقته نوازع شنبه ، اخذ زعماء جزيرة البحرين يتحركون ويتكلمون لازاحتهم عن كاهلهم وتخليص الجزيرة من السيطرة الخارجية واعادة الحكم فيها الى زعمائها الاصليين . ويفهم مما ورد فى الشاهنامه انه كان فى جزيرة البحرين ثلاثة زعماء بارزين لهم ثقلهم فى الحياة العامة . الاول هو الشيخ احمد بن راشد بن [مانع بن عصفور] زعيم بنى عصفور من عامر . والثانى على بن محمد البهلوان الذى كان شنبه قد اودعه السجن لان اتجاهاته فيما يبدو معادية لشنبه وللحكم الاجنبى فى الجزيرة هذا ومن المحتمل ان لقب البهلوان الذى يحمله على بن محمد يعود لكونه قائدا لقوافل الحج . اذ ان كلمة البهلوان تأتى بالفارسية بمعنى البطل والشجاع ، كما تأتى بمعنى أمير الحج . واذا صح ما ذهبنا اليه من ان هذه الكلمة قد استعملت لقباً له بمعناها الثانى فلا بد أن يكون عل بن محمد من اصحاب الثروة والنفوذ فى الجزيرة بالاضافة الى احتمال وجود صلات واسعة له مع زعماء بنى عصفور وبقيّة زعماء القبائل العربية لما يتطلبه نجاح قيادة قوافل الحجاج من وجود مثل هذه الصلة . ومهما يكن من امر فان ميوله السياسية والتى سوف تظهر فيما بعد ربما تعزز ما ذهبنا اليه . اما الزعيم الثالث فهو الأمير عجيب Ageb والذى نميل اليه ان هذا الاسم ربما قد حرف عن اصله نتيجة لترجمة الشاهنامه الى اللغات الاجنبية . وان الاسم الاصلى له قد يكون عجيب او عقيل . وعلى كل حال فإن الأمير عجيب او عجيب كان اسبق زعماء البحرين للعمل ضد شنبه . اذ جمع اتباعه وهاجم شنبه فى قصره وتمكن من اقتحامه وقتل شنبه . وبذلك اصبحت السلطة فى الجزيرة فى يديه . الا انه رأى بانه لكى يستتب الامر له لابد من الحصول على تأييد اصحاب

النفوذ القوى فيها . فسارع للاتصال بعلي بن محمد البهلوان . الذى كان اطلق سراحه فور نجاح انقلابه وكاشفة بنوياه في الاستقلال بالبحرين وطلب منه الدعم والتأييد . الا أن البهلوان سرعان ما خيب اماله واصر بدلا من ذلك على ان تضم جزيرة البحرين الى بقية بلاد البحرين كما كانت في السابق وان يعود الحكم فيها الى بنى عصفور العامريين الامر الذى جعلهما يفترقان في الهدف والعمل ، ومن الطبيعى ان تكون وجهة نظر الشيخ احمد بن راشد زعيم بنى عصفور في جزيرة البحرين متطابقة مع وجهة نظر البهلوان . لذا فقد اخذا يعملان معا في هذا السبيل ولكى يتحق لكل من الشيخ احمد بن راشد وعلي بن محمد البهلوان ما يهدفان اليه قام هذان الزعيمان بالذهاب الى القطيف واتصلا بحاكمها الشيخ ماجد وطلبا منه العون للتخلص من الامير عجيب او عجيل وضم جزيرة البحرين الى القطيف . الا ان موقف حاكم القطيف الشيخ ماجد كان مفاجئا لهما عندما رفض طلبهما لشكوكه في نواياهما ، معتقدا بان هدفهما الحقيقى هو الاستيلاء على السلطة في جزر البحرين والاستقلال فيها ، لذا فقد فضل ان تعود الجزر الى سلطة مملكة هرموز وان يحافظ على علاقة التبعية معها لذا قام الشيخ ماجد باعتقال هذين الزعيمين وارسلهما مخفورين على ظهر سفينة الى الامير تورانشاه . والواقع فان الموقف الذى وقفه حاكم القطيف من الشيخ احمد بن راشد زعيم بنى عصفور في البحرين ومن حليفة البهلوان ليؤكد عمق الخلافات بين زعماء بنى عصفور ، وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمري وهو يتحدث عن وضع زعماء بنى عصفور حينما قال ... الا ان الكلمة قد صارت بينهم شتى ، والجماعة متفرقة ^(١١٤) . وبعد اطلاق ملك هرموز تورانشاه على احداث البحرين سارع اليها على رأس قوة بحرية ، وبصحبة الشيخ احمد بن راشد وعلي بن محمد البهلوان . فما كان من الامير عجيب الا ان سارع لاستقباله وقدم له فروض الطاعة ، والتمس منه تكليفه

بحكم جزر البحرين مقابل الخدمات التى قدمها بقضائه على شنبه .

الا ان تورانشاه كما يبدو لم يطمئن الى نواياه ، وانما كان يعتزم احكام سيطرته على الجزيرة لذا فلم يكتف برد طلبه بل هدده بأوخم العواقب . فما كان من الامير عجيب (عجيل) والخطر يهدد حياته ، الا ان هرب من المنامة وهى ميناء البحرين الرئيسى - واختفى في احدى القرى في الجزيرة ، لكن مكان اختفائه اكتشف فقبض عليه حيث اعدم .

اما الشيخ احمد بن راشد وعلي بن محمد البهلوان فقد اطلق تورانشاه سراحهما بعد ان كان قد استرضاهما . امضى تورانشاه فترة من الزمن في جزر البحرين كان خلالها مشغولا بترتيب الاوضاع فيها بالشكل الذى يمنع تكرار ما حدث في السابق . على ان تورانشاه نفسه - والذى ينسب اليه تأليف كتاب الشاهنامه المكرس لتأريخ ملوك هرموز - لم يذكر لنا الوضع السياسى والادارى الذى استقرت عليه الامور في البحرين . وهل عين عليها حاكما من افراد اسرته يخضع له مباشرة ، ام انه جعلها تابعة الى حاكم القطيف الذى ابدى اخلاصا وطاعة له ؟

ومهما يكن من امر فان تورانشاه بعد ان اكمل مهمته في البحرين غادرها الى القطيف حيث استقبله بترحاب شديد حاكمها الشيخ ماجد . وقد وصفت الفترة التى قضاهما في القطيف بأنها فترة راحة واستجمام على انه كما يبدو قد استهدف من هذه الزيارة تأكيد تبعية كل من القطيف والحساء الى مملكته . وبعد أن تأكد لتورانشاه استقرار الامور في بلاد البحرين بالشكل الذى يريده ، غادر القطيف الى جزيرة البحرين ومنها الى جزيرة هرموز حيث مقر ملكه ^(١١٥) . ان الامر المهم الذى نفتقر اليه بخصوص احداث بلاد البحرين هو معرفة تاريخ حدوثها . فتورانشاه الملك المؤرخ لم يشر الى ذلك . الا انه من المحتمل انها وقعت فيما بين العقد السادس والسابع من القرن الثامن/ الرابع عشر . هذا ومما يجدر ذكره ، ان الملك المؤرخ تورانشاه قد

توفي عام ٧٧٢ / ١٣٧٠ - ٧١ بحسب ما رواه نظنزي وعام ٧٧٩ / ١٣٧٧ - ٨ بحسب مارواه تكسيرا . اما منجم باشى والذي اعتمد فيما كتبه عن ملوك هرموز على القاضى غفارى ، فقد ذكر انه توفي عام ٧٨٨ / ١٣٨٦ (١١٦) .

وبقى ان نقول ان كتاب الشاهنامه يمثل مصدرا قيما لمعرفة تاريخ القوى السياسية في الخليج العربى خلال الفترة التى تطرقنا اليها في بحثنا هذا وقد القت المعلومات التى زودنا بها هذا المصدر الثمين الضوء على هوية القوى الحاكمة في بلاد البحرين وطبيعة صلتها بمملكة هرموز . ومن الواضح ان بلاد البحرين كانت لا تزال تحكم في هذه الفترة من قبل بنى عصفور العامريين الأمر الذى ينفى الرواية القائلة بأن حكمهم قد زال في هذا التاريخ من بلاد البحرين وحل محله حكم بنى جروان . وهذا ما سوف نتعرض له بالنقد عند الحديث عن زوال حكم بنى عصفور .

على انه من المفيد مواصلة البحث في العلاقة ما بين مملكة هرموز وبلاد البحرين والوقوف بها في حدود نهاية النصف الاول من القرن التاسع / الخامس عشر ، بغض النظر عما حدث خلالها من تغيير في الاسرة الحاكمة في بلاد البحرين . على ان نعاود الحديث في هذه الصلة خلال الفترات اللاحقة وذلك عند بحثنا عن الدور الثانى لحكم بنى عامر تحت زعامة بنى جبر .

لا بد لنا ابتداء من نفى ما ذكره النبهانى من ان جزر البحرين كانت قد خضعت لحكم تيمورلنك . (١١٧) ان ما ذهب اليه النبهانى لا يستند الى دليل ، فنظام الدين شامى وشرف الدين يزدى اللذان الفا سيرة تيمورلنك لم يوردا اية اشارة في هذا الصدد . فكل ما اوردا ذكره هو وصول قوات تيمورلنك الى سواحل الخليج العربى ، فتيمورلنك ارسل عام ٧٩٦ / ١٣٩٣ - ٩٤ حملة عسكرية بقيادة حفيده امير زاده محمد سلطان بن جهانكير ، نحو اقليمى فارس وكرمان حيث استطاعت اكتساح مدنهما وقلاعهما والموانئ المطلة على الخليج العربى

ووصلت في تقدمها الى ذلك الجزء من كرمان الذى يسمى موغستان او هرموز القديمة ويعتبر جزءا من مملكة هرموز مما اضطر ملك هرموز محمد شاه الى الهرب من جيوش تيمورلنك والاعتصام بجزيرة هرموز . ولما كانت جيوش تيمورلنك لا تملك السفن فأنها وقفت عاجزة عن احتلال الجزيرة ، ومع ذلك فأن محمد شاه اضطر الى دفع مبالغ كبيرة الى حفيد تيمورلنك لقاء الاعتراف به حاكما في هرموز .

ان هذه الرواية عن علاقة تيمورلنك بالخليج العربى يؤكددها ايضا نظنزي المعاصر للادداث ومثل ذلك يرد عند منجم باشى وليس هناك من رواية البتة يفهم منها خضوع بلاد البحرين او جزء منها لنفوذ تيمورلنك (١١٨) ونعيد القول بأنه لا يمكن لقوة خارجية لا تمتلك اسطولا قويا من اخضاع بلاد البحرين .

ومن المفيد هنا ان نلفت النظر الى حقيقة كانت قائمة وهى ان ملوك هرموز كانوا قبل غزو تيمورلنك وبعده يقومون بدفع مبالغ من المال لحكام كرمان وفارس من المظفرين وبنى اينجو بشكل منتظم تارة وغير منتظم تارة اخرى وذلك بحسب ما تقتضيه الظروف العامة . وبالرغم من ذلك لا يمكن القول بأن بلاد البحرين التى تدين بالتبعية للملك هرموز في ذلك الحين ، خاضعة بشكل مباشر او غير مباشر لحكام تلك الجهات . والواقع فأن الاعتبارات الاقتصادية والسياسية هى التى ترغم امراء بلاد البحرين على ان يدينوا بالتبعية لمن يمتلك قوة بحرية متفوقة في مياه الخليج العربى ، لئلا يؤدى وقوفهم في وجه هذه القوة الى الحاق ضرر كبير بنشاطهم التجارى ، باعتبار ان بلاد البحرين تشكل حلقة الصلة ما بين الطرق التجارية البحرية والبرية او الى اضعاف مركزهم العسكرى تجاه خصومهم السياسيين في الداخل .

ومن المفيد ايضا ان نورد ما ذكرته بعض المصادر ان تيمورلنك بعد استيلائه على بغداد عام ٧٩٥ / ١٣٩٣ قام بأرسال حملة عسكرية الى

ان فترة حكم فخر الدين تورانشاه في هرموز تمثل بداية انحسار وضعف في نفوذ مملكة هرموز ، وتمثل ايضا انكماشاً في نفوذها على بلاد البحرين ، حتى انتهى الامر اخيراً الى استقلال تلك البلاد على يد احد بطون بني عامر وهم بنو جبر .

نهاية الامارة العصفورية

على الرغم من افتقارنا الى الحد الأدنى من المادة التاريخية التي من خلالها يمكن ان نلمس طريقنا في ظلمة الغموض الذي يلف بلاد البحرين خلال الفترة التي نتصدى لكشفها ، الا اننا نمتلك بعض ادوات التصور لما نتوقع ان يكون قد حدث ببلاد البحرين ، مستهدين بضوء الدراسات الاجتماعية التي نشرت والمتعلقة بقوى سياسية واجتماعية مماثلة في ظروفها الاقتصادية وبنائها الاجتماعي والتحول التي مرت بها ، مع اوضاع الامارة العصفورية ، على الرغم من وجود التفاوت الزمني في أحداثها اذ انه مع الثبات النسبي لظروف التحولات الاجتماعية والسياسية ، يكون للتفاوت الزمني تأثير محدود (١٢٥) .

عند بحثنا في العلاقة ما بين بني عامر والعينيين اشرنا الى بروز تحول هام في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لبني عامر . فبعد ان كانت وسائل انتاجهم الرئيسية ، التي يتساوون في الانتفاع بها تعتمد على المراعى ومصادر المياه وترفعها عمليات الغزو والتي يرافقها عادة السلب والنهب ، وكذلك ارغام قوافل الحج والتجارة على دفع الاتاة لهم ، اصبحوا منذ القرن الثاني عشر يتغلغلون في أرياف بلاد البحرين وسواحلها ، فأمتلكوا المزارع والبساتين وعيون المياه والسفن البحرية ومغاصات اللؤلؤ . كما أخذت تبرز فيما بينهم افخاذ وبطون تلتف حول هذه الزعامة القبلية او تلك ، كما ان هذه الزعامات اخذ كل منها يقف

البصرة بقيادة ابنة ميرانشاه ، الا انها منيت بهزيمة كبيرة فيها واسر ابن تيمورلنك . ان الذي يهمننا من هذه الواقعة هو ان المصادر قد ذكرت بأن الذي هزم جيوش تيمورلنك في البصرة اسمه صالح بن جولان (١١٩) . وقد وصف صالح هذا بأنه صاحب البصرة والبحرين ، وانه كانت تلتف حوله اعداد كبيرة من عرب البصرة والبحرين (١٢٠) .

ومهما يكن من امر فإن هذه الحادثة تفيد بأن عرب البحرين قد قاوموا جيوش تيمورلنك في البصرة ، واذا كان تيمورلنك قد نجح اخيراً في الاستيلاء عليها فإنه لم تردنا اشارة تفيد بقيامه بهجوم برى على بلاد البحرين .

ان ما نملكه من شواهد تدل على ان بلاد البحرين قد استمرت خلال القرن التاسع / الخامس عشر تدين بالتبعية للوك هرموز . فالسكاوي (ت ١٥٠٧/٩٠٢) عندما ترجم لقطب الدين فيروزشاه وصفه بأنه ملك هرمز والبحرين والحساء والقطيف ، كما ان السكاوي نفسه قد وصف ايضا سيف الدين مهار الذي اطاخ بحكم والده فيروز شاه سنة ١٤١٧/٨١٩ ، بأنه صاحب جزيرة هرموز والبحرين (١١٢) . اما جعفرى فقد ذكر عند حديثه عن سيف الدين مهار بأنه قد قام بأرسال حكام من قبله الى مناطق عديدة ، وذكر من بينها القطيف والبحرين (١٢٢) . ويعطينا منجم باشى صورة اخرى عن الموقف . فعند حديثه عن الانقلاب الذى دبره سيف الدين مهار ضد والده الذى كان متغيباً في الحج قال بأن سيف الدين مهار قد استولى على جيرون والبحرين وعمان والقطيف وقلعات وهرموز ومنوجان وغيرها وضبط البلاد (١٢٣) . ومما هو جدير بالذكر ان حاكم قلعات فخر الدين تورانشاه قد قام بثورة اطاحت بحكم اخيه سيف الدين مهار عام ١٤٣٦ / ٣٧ - ان ثورة فخر الدين تورانشاه ضد اخيه قد تمت بتحريض ومساندة من زعماء العرب الذين كان هدفهم فيما يبدو اضعاف الاسرة الحاكمة في هرموز والتخلص من تحكمها في بلادهم (١٢٤) .

بقوته العسكرية الى جانب احد الحكام العيونيين
العديدين المتنافسين على السلطة ، وذلك
حسب ما تمليه عليه مصالحه .

ان كل هذه الظواهر تعنى بأن الاطار
الاجتماعى الرعوى لبنى عامر قد اخذ يتبدل
ويتفكك . فبعد ان كانت الروابط الاجتماعية
تدور حول الرابطة القبلية الواسعة اصبحت
هذه الرابطة غير وثيقة ثم تلا ذلك تطور سياسى
هام فى حياة بنى عامر ، فالضرورات الحربية
الجديدة والنزاعات فيما بينهم والحرص على
ضمان حماية وسائل انتاجهم ومصالحهم
الجديدة قد ادى الى بروز سلطة سياسية
اتخذت شكل الامارة التى اقامها الشيخ
عصفور بن راشد شملت بلاد البحرين واجزاء
من نجد وعمان .

ان نجاح قوة قبلية بتأسيس سلطة سياسية
فى بقعة يسودها الطابع القبلى ، يعنى العمل على
انهاء المساواة فى الانتفاع بوسائل الانتاج على
الاسس القبلية ، لانه من غير الممكن ايجاد
الموازنة بين ادعاءات القوى القبلية ومصلحة
الاسرة الحاكمة الجديدة . فالدولة تعمل على
توسيع سيطرتها الاقتصادية وتطوير الملكية
الخاصة وتنشيط المصالح التجارية والفعاليات
الاقتصادية المختلفة ، وكذلك تنظيم استيفاء
الضرائب وحماية المنتجين . كما انها من الجهة
ال اخرى ترفض الاعتراف للمجاميع العشائرية
بحق الانتفاع واياها على قدم المساواة بكل
ذلك ، مما يؤدى فى كثير من الاحيان الى حدوث
النزاعات فحالة الشقاق العشائرية حالة ملازمة
لمثل هذه المجتمعات ، لان كل مجموعة من
البطون لا تعترف بحق اى مجموعة قرابية بان
تتفرد دونها باحتكار السلطة والانتفاع
بالموارد . اذ علينا الانتوقع بان التحولات التى
ادت الى قيام الامارة العصفورية فى بلاد
البحرين والتطورات الاجتماعية التى رافقت
ذلك ، كانت قد مست بالتغيير المجاميع

العشائرية القرابية بشكل رئيسي وانها دمرت
كيانها الاجتماعى . فسلاحتها كان لا يزال كامنا
وموجودا ، الامر الذى يؤدى فى بعض الاحيان
الى تمرداها كلما شعرت بعدم انسجامها مع كيان
الدولة . على انه يجب ان نستدرك ونقول بان
المجاميع العشائرية من الافخاذ والبطون تعترف
من الجهة الاخرى ، وفى اى مستوى اقتصادى
 واجتماعى كانت ، بارتباطها بمجموعة اوسع من
خلال رابطة النسب الاكبر ، وبالاهمية الكبيرة
للشيخ الذى يمثل وحدتها العسكرية ، على انه
من الخطأ فى تصوراتنا لطبيعة موقف السكان فى
بلاد البحرين من السلطة الحاكمة ، ان يقتصر
حديثنا على بطون وافخاذ بنى عامر ، علينا ان
نبدى الملاحظات ايضا بخصوص طبيعة
الروابط التى تربط فيما بين السكان المستقرين
ثم بما يربطهم بالسلطة الحاكمة وطبيعة موقفهم
منها .

ان السكان المستقرين فى بلاد البحرين سواء
اكانوا فى المدن والقرى والواحات ام على سواحل
الخليج تربطهم روابط اقتصادية واجتماعية
بالسكان القبليين ، فهم يتحولون من خلال
الانصهار والاندماج البطيء الى وحدة كبيرة
ذات صلة قبرى . على ان السكان المستقرين
انفسهم من الجهة الاخرى على الرغم من وجود
الملكية الخاصة للارض وما ينتج عنها من تمايز
فى الثروة والمراتب الاجتماعية - يتحدون فى
روابطهم ويتكثرون بحسب المدن والاحياء
والقرى ، ويثور بينهم النزاع على اساس هذه
التكتلات . كما انهم قد يتكثرون فى قوتهم
البشرية والمادية بحيث يصبحون من القوة فى
بعض الفترات بالشكل الذى يمكنهم من
السيطرة على القبائل المحيطة بهم ، او يقيمون
تحالفات معهم .

على ان الملاحظة الجديرة بالاشارة
بخصوص السكان المستقرين ، هى ان ضروب
النشاط الاقتصادى المختلفة التى يمارسونها

تتطلب توافر الأمن والاستقرار ، اذ بدون ذلك لا يمكن للنشاط الاقتصادي ان يزدهر ، لذا فهم يساندون الحكم الذى يحقق لهم ذلك ، فمصلحتهم الخاصة اذن ذات صلة بمصلحة السلطة السياسية القهرية . وكثيرا ما تلجأ الاسرة الحاكمة الى توثيق صلتها بقطاعات السكان المختلفة وتدعيم مركزها بينهم ، عن طريق المصاهرات المتعددة الجوانب .

على انه يجب الا يغيب عن بالنا ان طوائف السكان المستقرين يتباينون فى درجة ولائهم للسلطة ، فاذا كان من السهل اضطرار الفلاحين واستغلالهم من قبل الاسرة الحاكمة نظراً لارتباط نشاطهم الاقتصادى بالملكيات الزراعية الثابتة ، فان طوائف التجار والصناع تتميز ولاءاتهم عموماً بعدم الثبات ، اذ كثيراً ما يلجأون الى تبديلها تبعاً لموازين القوى ومصالحهم الخاصة . فأى تبديل فى خطوط المواصلات التجارية اوزيادة كبيرة فى الضرائب التى يفرضها الحاكم عليهم اوبروز هيمنة لقوى جديدة منافسة فى منطقة اخرى داخل البلاد او خارجها ، كل ذلك يحملهم على تبديل فى مواقفهم ويتمثل فى اخذهم اموالهم ورحيلهم ، مانحين ولاءهم لمركز القوى الجديد . فهم بذلك يشبهون الجنود الاجراء والعبيد الذين يهجرون اسيادهم عندما يضعفون . كما انهم من الجهة الاخرى بعكس البدو فى ولائهم ، اذ ان الآخرين يبقى ولاؤهم ثابتاً نسبياً لقبيلتهم ولا يمنحون ولاءهم لاية قوة على حساب ولائهم لقبيلتهم .

وبما ان احد مصادر الثروة الرئيسة فى بلاد البحرين تعتمد على النشاط التجارى وما يجلبه من فوائد من خارج البلاد ، كان على حكامها من اجل الثروة - ان يتنافسوا من أجل السكان مثلما يتنافسون من أجل الارض . ففى السياسة فى بلاد البحرين لا بد ان يعطى للسكان بالغ الاهمية لانهم مصدر ثروة البلاد .

لاشك بان التصور الذى قدمناه سوف يساعدنا الى حد ما فى تفهم التفاعلات والتحولات والصراعات التى كانت فى بلاد البحرين فى ظل الامارة العصفورية التى أدت فى النهاية الى التفكك السياسى والانحلال ثم الى زوال سلطتهم من البلاد . وما بقى لدينا الا ان نستعرض ما توفر لدينا من مادة تاريخية شحيحة .

ان الذى نميل اليه هو ان الشيخ عصفور بن راشد خلال جهوده لانتزاع السلطة من العيونيين والسلفريين والفترة التى اعقبتها ، كان قد كسب الى حد كبير تأييد ومؤازرة قطاعات عديدة من السكان المستقرين بالإضافة الى معظم بطون وافخاذ بنى عامر واستطاع ان يلفهم حول حكمة . والذى يبدولنا ايضا ان الشيخ عصفور كان قد اشرك فى السلطة بعض بطون بنى عامر اضافة الى اسرته ، فعلى الرغم من انه كان قد وزع السلطة فى بلاد البحرين واليمامة على اولاده ، فانه قد اشرك الشيخ مانع بن على بن ماجد بن عميرة فى حكم البلاد ، كما انه كان قد اشرك قبل ذلك فى السلطة الشيخ ابا عاصم بن سرحان بن محمد بن عميره . ومن المحتمل انه خلال النصف الثانى من القرن السابع / الثالث عشر ، لم تكن هناك نزاعات تذكر حول السلطة . الا انه خلال حكم اولاد الشيخ مانع بن عصفور فى النصف الاول من القرن الثامن / الرابع عشر ، انفجرت النزاعات حول السلطة ، فالقلقشندى ينقل لنا عن ابن فضل الله العمرى وصفا لوضع بلاد البحرين خلال تلك الفترة ، حيث يقول بان (الامرة فيها فى اولاد مانع الى بقية امراء منهم وكبراء لهم ، وبلادهم ما بين العراق والحجاز ، ولهم قصور مبنية وأطام علىة وريف غير متسع ، الى ما لهم من النعم والماشية ، والحاشية الفاشية) ثم يضيف القول (الا ان الكلمة قد صارت بينهم شتى ، والجماعة متفرقة (١٢٦)) ثم ان ابن

فضل الله العمرى يورد لنا قائمة تتضمن اسماء عدد كبير من امراء بنى عصفور اضافة الى اسماء امراء لعرب البصرة والبحرين من غير بنى عصفور . وقد قسم هؤلاء الامراء الى ثلاث مراتب حسب اهمية نفوذهم السياسى والقبلى . وقد جعل فى المرتبة الاولى من هؤلاء الامراء اثنين من اولاد الشيخ مانع بن عصفور ، وهم محمد وحسين . وقد ضمن هذه المرتبة اسماء نرجح ان يكونوا من امراء عرب البصرة ، وهم صدقة بن ابراهيم بن ابي دلف وعلى بن منصور .

اما المرتبة الثانية ، فقد ورد فيها اثنان من اولاد الشيخ مانع بن راشد وهما بدران وراشد ، اضافة الى مانع بن بدران ، وكبلى بن ماجد بن بدران ومانع بن على ، كما تضمنت هذه المرتبة اسماء يبدو انها من امراء عرب البصرة والبادية ، وهم رومى بن ابي دلف وزين ابن قاسم ويوسف بن قاسم وسعيد بن معدى وعيسى بن عرفة وظالم بن مجاشع واسماعيل بن صوارى . واخيرا تأتى اسماء امراء المرتبة الثالثة ونجد من بينهم عددا من اولاد الشيخ مانع بن عصفور واحفاده وهم زيد بن مانع وحسن بن عظيم بن مانع وهلال بن يحيى بن معمر بن مانع وموسى بن ابي الحسين ومحمد بن خليفة . ولقد ورد ضمن قائمة امراء المرتبة الثالثة سعد بن مغماس (١٢٧) وهو من امراء البحرين وسوف نشير الى دوره فى الاحداث فى حينه .

يتضح لنا فى القائمة السالفة كثرة امراء بنى عامر المنحدرين من نسل الشيخ مانع بن عصفور بن راشد وتعدد مراتبهم واهميتهم . الا انه من المؤسف حقا ان ابن فضل الله العمرى لم يعطنا تفاصيل اكثر عن مركز كل واحد منهم فى السلطة والمناطق التى يسود فيها نفوذه ونوع العلاقات القائمة بينهم . والواقع فان عدم وجود المبدأ الوراثى الثابت لتولية المشيخة ربما يكون

خلف كثرة امرائهم وتعدد مشاحناتهم . فالامير فى مثل هذه الكيانات يخلفه ابنه وربما عمه او ابن اخيه ، وهذا يعتمد على القابلية الشخصية لكل فرد من افراد البيت الحاكم وعلى عدد المنضوين تحت لوائه من عشيرته واتباعه . كما ان يمين الولاء الذى يؤديه افراد الاسرة الحاكمة والوجوه والاعيان للحاكم ، ما هو فى الواقع الا اتفاق يمكن فسخه ، فليس له من قوة أوقدسية . لذا فعلى الحاكم فى ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية ان يلجأ الى استخدام الاجراء والعبيد لحراسته لكى يشعر بالامان اذ انهم اكثر اطاعة له ، فلا ينظرون اليه على انهم على قدم المساواة معه ، مثلما ينظر اليه افراد اسرته وعشيرته الذين يطالبونه باشتراكهم فى السلطة والسمعة والثروة . فالظروف المشار اليها تدفع الامير اذا لتكوين هذه القوة الخاصة ذات التركيب الاجتماعى المقطوع الجذور او الضعيف الالتصاق بالواقع القبلى السائد ، مما يسهل عليه استخدامها فى حفظ الامن وجمع الضرائب فهم خدام الشيخ اورجاله (رجايل الشيخ) الذين يحيطون به ويحمونه .

كما ان لجوء الامراء العصفوريين الى اتخاذ المباني المحصنة مستقرا لهم ولحاشيتهم - وان كان ذلك يدل على تحول اجتماعى فى حياتهم - ما هو فى الواقع الا تعبير عن عدم شعورهم بالامان من خصومهم السياسيين ، فأحتاطوا لانفسهم بالسكن فى القصور والحصون . وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمرى فى نصه السابق ، عندما وصف حياتهم بقوله « ... ولهم قصور مبنية واطام عليه ... والحاشية الفاشية ... » . والواقع فان عملية تكوين السلطة السياسية تعتمد على التطور الحاصل فى الادارة الوحيدة للقوة ، وهى القوة العسكرية ، ولم تظهر سلطة سياسية بدون ظهور قوة عسكرية الى جانبها . على ان التركيب الاجتماعى للقوة العسكرية ما هو الا نتاج البيئة الاقتصادية والاجتماعية اى

المادة البشرية مع بنائها الثقافي وتركيبها الاجتماعي ومفاهيمها .

على انه يجدر بنا ونحن نستعرض عوامل تفكك السلطة السياسية لامارة العصفوريين ان نشير الى اثر القوة السياسية الخارجية . ان ان ظهور القوى البحرية التجارية في مياه الخليج العربي كالطيبين في مقاطعة فارس وجزيرة قيس وكذلك مملكة هرموز ، ربما لعبت ادوارا رئيسية في هذا الخصوص .

فالتنافس بين امراء بنى عصفور حول السلطة وخشية بعضهم من بعض ربما دفعهم الى التسابق في طلب الدعم الخارجى من هذه القوى التي سوف ترحب بالتأكد بمثل هذا الطلب لبسط نفوذها على بلاد البحرين . كما انه لابد ان نشير بان تحكم هذه القوى البحرية في تجارة الخليج العربى هو مصدر تهديد خطر لكيان بلاد البحرين ولازدهار اقتصادها فيما اذا لم يقيم حكامها علاقة سياسية مع هذه القوى تلك العلاقة التي انتهت في احيان كثيرة الى اخضاع البلاد الى نوع من التبعية الاقتصادية والسياسية . ولعل فيما مر بنا ما يغنى عن اعادة التوضيح .

بقى علينا ان نناقش تاريخ زوال امارات العصفوريين وان نتحدث عن القوى التي تم على يديها ذلك ، والفترة الزمنية لوقوعه .

ان ما نملكه بهذا الخصوص هو نص واحد اورده ابن حجر العسقلاني نستشف منه امورا كثيرة ، فعندما ترجم ابن حجر لابراهيم بن جروان قال عنه (ابراهيم بن ناصر بن جروان المالكي من بني مالك بطن من قریش ، صاحب القطيف ، انتزع جده جروان الملك من سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة القرمطى في سنة ٧٠٥ ، وحكم في بلاد البحرين كلها ، ثم لما مات قام ولده ناصر مقامه ، ثم قام ابراهيم مقام ابيه ، وكان موجودا في العشرين وثمانى مائة ، وهم من كبار

الروافض) (١٢٨) .

ان هذا النص لم نعثر على ما يؤيده او ينفيه او يصححه ، وقد اعتمد بعض المعاصرين ممن مروا بتاريخ هذه الفترة مرورا عابرا ، وقبلوه بدون ادنى تمحيص لأفتقارهم الى ادوات تجريحه . على اننا سوف نقف امامه وقفة طويلة ، وسوف ينصب نقدنا اساسا على التواريخ التي تضمنها النص .

على الرغم من ان ابن حجر في هذا النص لا يشير بشكل مباشر الى ما يتعلق بأمارات العصفوريين الا انه يفيدنا بهذا الخصوص . فهو يورد بأن جروان قد انتزع بلاد البحرين من سعيد بن مغامس عام ١٣٠٥/٧٠٥ - ١٣٠٦ ، ومعنى ذلك ان سعيد بن مغامس كان قد انتزع تلك البلاد او جزءا منها من العصفوريين . فمن يكون سعيد بن مغامس هذا ؟ يمكن ان نطرح ثلاثة احتمالات بهذا الخصوص ، الاحتمال الاول يستند الى قائمة اسماء امراء بلاد البحرين خلال النصف الاول من القرن الثامن/الرابع عشر التي اوردها ابن فضل الله العمري وذكرناها سابقا ، ان نجد من بين الاسماء اسم سعد بن مغامس فهل ان سعدا هذا ما هو في الحقيقة الا سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة الذى اورده ابن حجر ، او انه أخ له ؟ انه من الصعوبة الاجابة على مثل هذا الاحتمال .. اما الاحتمال الثاني فهو ان يكون سعيد بن مغامس من احفاد شريف مكة ابي ندى ، ان تشير مصادرها الى ان قسما من هؤلاء قد استقروا في العراق ومارسوا نفوذا سياسيا واجتماعيا ودينيا واسعا فيه خلال القرن الثامن/الرابع عشر ، (العهدان الايلخاني والجلاليري) ، ولعل الدور الذي لعبه الشريف احمد بن الشريف رميثة بن ابي ندى في وسط وجنوبي العراق خلال هذه الفترة خير مثال على ذلك . كما انه يرد ذكر اكثر من شخص من احفاده في العراق ممن يحمل اسم مغامس (١٢٩)

والذي يهمننا من بين هؤلاء هو السيد مغامس الذي ذكر ابن عنبه (ت ٨١٢) بأنه من ابناء الشريف رميته بن ابي نمي (ت ٧٤٦) المقيمين في العراق ، وقد يكون السيد مغامس هذا حفيدا للشريف رميته . ولقد اضاف ابن عنبه قائلا بأن للسيد مغامس عقب (١٣٠) ، ثم سكت دون ان يصرح باسم احد منهم . والسؤال الذي يطرح نفسه هو ، هل سعيد بن مغامس الذي ورد ذكره في نص ابن حجر هو من ابناء مغامس المنحدر من الشريف رميته ؟ واذا كان كذلك فكيف تسنى له ذلك ؟ للإجابة على ذلك هناك احتمالان ، اما ان يكون السيد مغامس او ولده سعيد قد انتقل من العراق الى بلاد البحرين فاصبح لهم نفوذ ومنزلة كبيرتين نظرا لانتماهم العائلي ، الامر الذي مكنهم من انتزاع السلطة من العصفوريين . او ان سعيد بن مغامس كان قد استعان في الاستيلاء على السلطة في بلاد البحرين ببعض قبائل جنوبي العراق ، وربما قد تم ذلك بتوجيه وتشجيع من الجلايريين الذين لهم الحكم في العراق وايران . الا ان سلطة سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميته هذا لم تدم طويلا لاحتمال ان تكون القوى الخارجية التي استعان بها قد انقضت من حوله نظرا لطبيعتها القبلية . مما مكن جروان من انتزاع السلطة من يديه بالاستعانة بنفوذه داخل الاحساء . ان مما يعزز هذا الاحتمال في كون سعيد بن مغامس من ذرية الشريف رميته هو اولا ان ابن حجر قد وصفه بالقرمطي ولا بد ان يكون المقصود بذلك انه شيعي المذهب ، اذ لا يوجد للقرامطة في بلاد البحرين من بني عصفور وانه ينتمي الى احدى عشائر بني عقيل وكانت هناك علاقة بين قبائل جنوبي العراق وخصوصا البصرة وبين قبائل البحرين ، ولعل تعاونهم معا ضد جيوش تيمور لك عندما غزت البصرة خير شاهد على ذلك ، وقد مر ذكرها . ثالثا ما اورده العصامي من

وجود اقرباء الشريف مكة في الحسا حتى القرن العاشر/السادس عشر (١٣١) . اما الاحتمال الثالث ، فهو ان يكون صالح بن جولان الذي سبق وذكرنا بأنه قد قاوم جيوش تيمورلنك عند هجومها على البصرة عام ١٣٩٣/٧٩٥ والذي يوصف بأنه صاحب البصرة والبحرين هو الذي انتزع بلاد البحرين من بني عصفور وانه ينتمي الى احدى عشائر بني عقيل التي تقيم في منطقة البصرة (بنو مالك ، عباد ، خفاجة) او انه من امراء بني عصفور في البحرين وقد مد نفوذه الى البصرة واقام فيها . وعين سعيد بن مغامس نائبا عنه في بلاد البحرين ، وان سعيد هذا قد انتهى بنهاية صالح بن جولان امام تيمورلنك .

او ان يكون سعيد بن مغامس قد استولى على بلاد البحرين منتهزا الهزيمة التي منى بها صالح بن جولان صاحب البصرة والبحرين بعد ذلك امام جيوش تيمورلنك ان هذا الامر لا يتعارض وصلة القرابة التي من المحتمل انها تربط سعيد بن مغامس بشريف مكه رميته ، كما ان الاحتمال الثالث الذي ذكرناه انفا متداخل مع الاحتمال الثاني .

اما النقطة الاهم في نص ابن حجر فهي التواريخ التي اوردها اذ هي ملفتة للنظر وتحتاج الى مناقشة . فالتاريخ الذي اورده ابن حجر كدأية لقيام حكومة جروان في بلاد البحرين هو عام ١٣٠٥/٧٠٥ - ٠٦ اما تاريخ بداية حكومة سعيد بن مغامس فكان في مطلع القرن الثامن/الرابع عشر بحسب ما ذكره الشيخ محمد العبد القادر (١٣٢) . ان التواريخ الانفة الذكر لا يمكن القبول بصحتها للأسباب الاتية :

اولا - ان ابن فضل الله العمري الذي عاش في النصف الاول من القرن الثامن/الرابع عشر ، وكان معاصرا لما يرويه قد ذكر بان بلاد البحرين تحكم من قبل اولاد مانع بن عصفور ،

والذي يهمننا من بين هؤلاء هو السيد مغامس الذي ذكر ابن عنبه (ت ٨١٢) بأنه من ابناء الشريف رميته بن ابي نمي (ت ٧٤٦) المقيمين في العراق ، وقد يكون السيد مغامس هذا حفيدا للشريف رميته . ولقد اضاف ابن عنبه قائلا بأن للسيد مغامس عقب (١٣٠) ، ثم سكت دون ان يصرح باسم احد منهم . والسؤال الذي يطرح نفسه هو ، هل سعيد بن مغامس الذي ورد ذكره في نص ابن حجر هو من ابناء مغامس المنحدر من الشريف رميته ؟ واذا كان كذلك فكيف تسنى له ذلك ؟ للإجابة على ذلك هناك احتمالان ، اما ان يكون السيد مغامس او ولده سعيد قد انتقل من العراق الى بلاد البحرين فاصبح لهم نفوذ ومنزلة كبيرتين نظرا لانتماهم العائلي ، الامر الذي مكنهم من انتزاع السلطة من العصفوريين . او ان سعيد بن مغامس كان قد استعان في الاستيلاء على السلطة في بلاد البحرين ببعض قبائل جنوبي العراق ، وربما قد تم ذلك بتوجيه وتشجيع من الجلايريين الذين لهم الحكم في العراق وايران . الا ان سلطة سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميته هذا لم تدم طويلا لاحتمال ان تكون القوى الخارجية التي استعان بها قد انقضت من حوله نظرا لطبيعتها القبلية . مما مكن جروان من انتزاع السلطة من يديه بالاستعانة بنفوذه داخل الاحساء . ان مما يعزز هذا الاحتمال في كون سعيد بن مغامس من ذرية الشريف رميته هو اولا ان ابن حجر قد وصفه بالقرمطي ولا بد ان يكون المقصود بذلك انه شيعي المذهب ، اذ لا يوجد للقرامطة في بلاد البحرين من بني عصفور وانه ينتمي الى احدى عشائر بني عقيل وكانت هناك علاقة بين قبائل جنوبي العراق وخصوصا البصرة وبين قبائل البحرين ، ولعل تعاونهم معا ضد جيوش تيمور لك عندما غزت البصرة خير شاهد على ذلك ، وقد مر ذكرها . ثالثا ما اورده العصامي من

وان دارهم الاحساء والقطيف وملح وانطاع
والقرعاء واللاهابة والجسود ومتالع (١٣٣) .

ثانيا - ان القائمة التي اوردها ابن فضل الله
العمرى لامراء بلاد البحرين في النصف الاول
من القرن الثامن/الرابع عشر صريحة في ان
الحكم في تلك البلاد هو بيد اولاد مانع وليس
هناك من ذكر لجروان او اولاده .

ثالثا - اذا كان ما افترضناه من ان سعد بن
مغامس الذي ورد ذكره عند ابن فضل الله
العمرى ، ما هو الا سعيد بن مغامس بن
سليمان بن رميثة الذى ورد في نص ابن حجر
فأننا نجد ان اسمه يأتى ضمن امراء المرتبة
الثالثة ، ومعنى ذلك انه ذو نفوذ سياسي محدود
جدا اذ لا يمكن ان يكون حاكم بلاد البحرين ،
خلال هذه الفترة ويوضع في هذه المرتبة . اما اذا
سلمنا بان سعيد بن مغامس ما هو الا حفيد
شريف مكة رميثة المتوفى سنة ٧٤٦/١٣٤٥ -
٤٦ فممن المستبعد ان يكون الحفيد قد برز الى
الوجود في مطلع القرن الثامن/الرابع عشر .

رابعا - ان الاحداث التي وقعت في بلاد
البحرين في عهد توران شاه وورد ذكرها في
الشاهنامه تشير الى ان زعيم بني عصفور في
جزيرة البحرين هو الشيخ احمد بن راشد وان
حاكم القطيف هو من اقربائه ايضا وهو الشيخ
ماجد . وان هذه الوقائع قد حدثت في النصف
الثاني من القرن الثامن/الرابع عشر ، وقد
حددنا وقوعها بشكل تقريبي في العقد السادس
او السابع من ذلك القرن فابن ذكر بنى جروان
ان كانوا يحكمون جميع بلاد البحرين حسب ما
اورده ابن حجر ؟ بل الذي تفيد هذه النصوص
التي أشرنا اليها هو ان حكم بنى عصفور لا
يزال قائما في بلاد البحرين في هذه الفترة .

خامسا - ان ابن حجر قد حدد بداية قيام
حكومة جروان بعام ٧٠٥ وان ولده ناصرا قد
اعقبه في الحكم ثم حفيده ابراهيم . وقد وصف
ابن حجر ابراهيم هذا بانه لا يزال يحكم في

القطيف عام ٨٢٠/١٤١٧ ومعنى ذلك ان ثلاثة
حكام منهم قد حكموا بالتعاقب لمدة تزيد على
١١٠ سنوات ، وان ثالث هؤلاء الحكام كان لا
يزال يحكم في البلاد في عام ٨٢٠/١٤١٨ فيكون
بذلك معدل حكم كل واحد منهم يقارب الاربعين
عاما . الامر الذي يصعب قبوله لانه من الامور
القليلة الوقوع في مناطق واسعة من العالم ،
كيف الحال في بلاد البحرين التي يكثر فيها
الاضطراب ويتدنّى فيها المستوى الصحي .

سادسا - ان ابن عنبه ينقل رواية عن
استاذة ابن معيه الحسيني (ت ٧٧٦)
بخصوص اعقاب موسى الجون الذين يقال لهم
الاخيضريون ، بقوله انهم في اليمامة بالف
فارس وهم مع عامر (١٣٤) . ان تخصيص
دخول الاخيضريون مع عامر يدل على ان بني
عامر كانوا لا يزالون حتى ذلك التاريخ هم
اصحاب الصولة والجولة في بلاد اليمامة
ايضا .

سابعا - سبق ان ذكرنا بان صالح بن جولان
الذي قاوم ببسالة هجوم جيش تيمورلنك على
البصرة عام ٧٩٥/١٣٩٣ ، وقد وصفته
المصادر بانه صاحب البصرة والبحرين ،
ومعنى ذلك انه الحاكم فيهما ، ومن بين من ذكر
ذلك ابن حجر نفسه ، ومعنى ذلك انه قد ناقض
نفسه في نصين مختلفين ، اذ كيف يحكم اولاد
جروان ؟ بلاد البحرين في الوقت الذى هي تحكم
من قبل صالح بن جولان ؟ يتضح مما اورده
من اعتراضات بأنها كافية لتفنيد التاريخ الذي
اورده محمد العبد القادر حول تاريخ استيلاء
سعيد بن مغامس على السلطة في بلاد البحرين ،
وكذلك ما اورده ابن حجر حول تاريخ قيام
حكومة جروان . لذا لابد ان يكون هذا التاريخ
خطأ وقد يكون مصدر هذا الخطأ ان تحريفا او
سهوا قد وقع في هذا التاريخ ، اما في اصل كتاب
ابن حجر او في المطبوع منه ، وقد يكون هناك
رقم قد وقع من الوسط ما بين الرقم الاول

والثالث وحل محله الصفر .

بقى اذا ان نعرف التاريخ التقريبي لزوال حكم العصفوريين من بلاد البحرين . ان اعطاء رقم محدد لذلك ليس بالامر الهين ما دامت مصادرنا ضئيلة علينا . والذي نراه ان حكم العصفوريين في بلاد البحرين قد امتد لمدة تقارب من القرن ونصف القرن ، وان زوال حكمهم قد تم في العقد الثامن او التاسع من القرن الثامن / الرابع عشر ، وقد يكون ذلك مرتبطا بالاضطراب الذي عم منطقة الخليج العربي ، والشرق بظهور تيمورلنك . ان تواريخ ٧٧٥ او ٧٨٥ وحتى ٧٩٠ هي تواريخ مقارنة لذلك . واخيرا ونحن بصدد ذكر اماره جروان من المفيد ان نسجل بعض الملاحظات وهي .

اولا - اننا لا نرى بأن جروان ينتسب الى بني مالك القرشيين كما ذكر ابن حجر بل الذي نراه هو انهم من بني مالك احد بطون عبد القيس ، ويبدو ان محمد العبد القادر قد حاول ان يصلح الخطأ الذي وقع فيه ابن حجر ، عندما ذكر بان جروان من بني مالك بن عامر ، وكلا البطنين هم من عبد القيس . ومما هو جدير بالذكر هنا بان ابن مقرب العيوني كان قد ذكر في شعره مرارا اسم ابراهيم بن عبدالله بن جروان معاتبا اياه او مادحا له وكان ابراهيم هذا احد اثرياء الاحساء ووجهائها ومعاصرا لقيام اماره العصفوريين . فهل جروان الذي نجح في تأسيس سلطة سياسية في بلاد البحرين هو من ذريته ؟ واذا كان كذلك فلا بد ان فوزه في السلطة قد تم نتيجة لتحالف بعض البطون والاحياء في ارياف بلاد البحرين وهذا ما ألمحنا اليه سابقا من ان زعماء السكان المستقرين في الأرياف ربما يكون لهم من القوة بحيث يستطيعون فرض سيطرتهم على مناطق واسعة وان الاثرياء في بلاد البحرين لهم من النفوذ والاتباع الذين يدينون

لهم بالتبعية الاقتصادية ما يقارب نفوذ الشيوخ والحكام .

ثانيا - ان اماره جروان لا بد ان تكون قد خضعت هي الاخرى لتبعية مملكة هرموز وان حكمها لم يشمل جزيرة البحرين . فالنصوص التي اوردها السخاوي تشير الى ان فيروز شاه الذي قد انتهى حكمه عام ١٤١٧/٨١٩ كان ملكا لهرموز والبحرين والحساء والقطيف . كما ان ولده سيف الدين مهار الذي اعقبه في الحكم وانتهى حكمه عام ١٤٣٦/٨٤٠ - ٣٧ قد قال عنه جعفري بأنه كان قد ارسل بالحكام من قبله لكل من القطيف والبحرين .

ثالثا - ان بني عصفور خاصة وبني عامر عامة وقد فقدوا سلطتهم السياسية قد بقوا في بلاد البحرين محتفظين بنفوذهم الاقتصادي الواسع . ولعل فيما ذكره السخاوي عند ترجمته لمحمد بن محمد العمري ، من انه قد غادر الحجاز بعد انتهاء موسم الحج متوجها الى بلاد العجم بصحبة قافلة بني عقيل سنة ٨٢٣/١٤٢٠ ، (١٢٠) يمكن اعتباره دليلا مهما على استمرار النشاط الاقتصادي لبني عامر - الذين كثيرا ما يطلق عليهم بنو عقيل - وعلى انهم لا يزالون يتمتعون بهيبة واحترام في جزيرة العرب ، خاصة ونحن نعرف الاهمية التجارية لقافلة الحج وبان من يتولى قيادتها لا بد ان يكون قادرا على حمايتها . ومن المحتمل انهم دفعوا ثمنا لبقائهم بنقل ولائهم وقوتهم العسكرية الى خدمة القوة الجديدة ، متحينين الفرصة المناسبة لاسترجاع مكانتهم السابقة . وقد تم لهم ذلك اخيرا على يد احد اقضائهم وهم بنو جبر الذين استرجعوا سلطة بني عامر على بلاد البحرين في حدود منتصف القرن التاسع / الخامس عشر .

الهوامش

★ يقر كاتب البحث بأنه مدين بالشكر العميق للزميلين الاستاذ اسعد الكبيسي والدكتور محمد وصفي ابو مغلي مدرسي اللغة الفارسية في جامعة البصرة لما قدماء من مساعدة في قراءة النصوص الفارسية وترجمتها . اما النصوص الفرنسية والالمانية فقد تفضل مشكورا الصديق الدكتور وست T-West مدرس الادب الاوربي المقارن في جامعة ايسست انجليا بترجمتها الى اللغة الانجليزية بناء على طلب الكاتب .

(١) تحفة الالباب في تاريخ الاحساء ، مجلة العرب جـ ٦٥ (١٩٧٥) ص ٤٤٠-٧٢ خصوصا ص ٤٧١ .
(٢) احمد مصطفى ابو حاكمه ، صفحات مطوية من تاريخ الخليج والجزيرة العربية ، مجلة الدوحة مارس ١٩٧٦ ص ٨٠-٨١ .

(٣) كمثال على ماكتب بشكل متحيز ويتجاهل دور العرب في تاريخ الخليج العربي راجع عباس اقبال مطالعاني درباب بحرین وجزایر وسواحل خلیج فارس ، طهران ١٣٢٨ شمسی وقد كتب هذا البحث بطلب من الخارجية الايرانية ونشر بأمر منها .

(٤) J.H. Stevens. Man and Environments in Eastern Saudi Arabia Arabian studies, I London (1974) 137-8ed. R.B. Serjeant & R.I. Bidwell.

(٥) حول اهمية سفن العرب الشراعية ودورها في حياة عرب الخليج راجع .
H. Yajima. The Arab Dhow Trade in the Indian Ocean, (Tokyo, 1976).

(٦) J.B. Kelley "Sovereignty and Jurisdiction in Eastern Arabia, International Affairs Vol.34, I. (1959 PP.16-24 esp. 17

وللاطلاع على اثر القيم القبلية في قيام الكيانات السياسية في شرق الجزيرة العربية انظر .
P. Lienbardt. The Authority of Shaykhs in the Gulf Arabian Studies, (London 1975), 61-75
M.B. Rowton. Autonomy and Nomadism in Western Asia Orientalia, Vol.42. Nova Series Fasc. (V 1. 2, Rome 1973) PP. 247-58 esp. 253-4.

لمن يريد من الباحثين ان يتعرف على الدراسات الاخرى لروتون عن القبائل ودورها في تاريخ العراق والبحرين منذ القدم حتى العصر الحديث عليه مراجعة الابحاث التالية لنفس الكاتب .
Urban Autonomy in a Nomadic Environment, J. of Near Eastern Sts. No. 1 and 2 (1973) pp. 200-15, Enclosed Nomadism, JESHO, Vol. XIII, 1, PP. 1-30.

(٨) حول عقيل وبطونها ومواطني سكنها راجع الحسن بن عبدالله الاصفهاني (ت حوالي ٣١٠) ، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر وصالح احمد العلي ، (الرياض ١٩٦٨) ، ٣٠-١١ ، ابن حزم (ت ٤٥٦) جمهرة انساب العرب (القاهرة ١٩٦٢) ، ٢٩٠-٩٢ ، ٧٨٢ ، وابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون جـ ٢ (بيروت ١٩٦٦) ، ٤٦٧-٤٩ ، جـ ٦ (بيروت ١٩٦٨) ، ٢٤٠-٢٥ ، القلقشندي ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب (القاهرة ١٩٥٩) ، ٧٥ ، ١٠٦ ، ٢٤٦ ، ٢٣٠ ، ٣٦٦ .

نظرا لكثرة الاخطاء في هذه الطبعة يستحسن مقارنتها بالنسخة المطبوعة في بغداد عام ١٩٥٨ بتحقيق علي الخاقاني . راجع ايضا لنفس المؤلف صبح الاعشى (القاهرة ١٩١٤) ، ٢٠٤/٤ ،
قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (القاهرة ١٩٦٣) ٧٦-٧٧ ، ١١٩-٢١ ، عبدالستار الحسني نظرات في نهاية الارب للقلقشندي ، مجلة البلاغ ٦/٢ (١٩٧٦) ٦٣٠-٧١ .

خاشع المعاضيدي ، دولة بني عقيل في الموصل (بغداد ١٩٦٨) ، ٢٧-٣٠
H.C. Kay, Notes on the History of the Banu Okayl, JAS Vol. XVIII, 1886, PP.491-526

لقد اعتمد كي في بحثه على ابن خلدون بشكل رئيسي .
(٩) الاصفهاني ، بلاد العرب ، ٣-١١

G. Rentz, art. Katif. EI2

- (١٠) الهمداني (ت ٩٤٥/٣٣٤ - ٤٦) صفة جزيرة العرب ، (القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٣) ، ٣٧-١٣٦ ، ١٦٩ ، وكذلك انظر عبدالرحمن عبدالكريم النجم . البحرين في صدر الاسلام (بغداد ١٩٧٣) ، ٤٤-٤١ .
- (١١) ابن الاثير ، الكامل (القاهرة ١٣٥٣) ٩٣/٦ ، تاريخ ابن خلدون ، ١٩٥/٤ ، ٢٨/٦ ، ٦٣ : ثابت بن سنان ، تاريخ اخبار القرامطة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ١٤ ، ٧١ ، ١١٠ .
- (١٢) حول هجمات قرامطة البحرين هذه ، راجع ابن الاثير ح ٦ ، ابن خلدون ٩٤/١٨٨/٤ .
- (١٣) انظر على سبيل المثال ابن خلدون ٢٥/٦ ، عبالجبار ناجي ، الامارة المزينية (البصرة ١٩٧٠) ٤٢-٣٥ ، الدكتور جعفر خصبك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ، بغداد ١٩٦٨ (١٧٣-١٧٧) ، يذكر ابن الاثير ١٢٣/٧ ، انه في سنة ٣٧٤ تقلد ابو طريف عليان بن شمال الخفاجي حماية الكوفة وهي اول امارة بني شمال .
- (١٤) ابن الاثير ١٣٦/٧ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٢٤ (في حوادث ٣٧٨ و ٣٨٥ ، ٣٩٤) : ابن الجوزي ، المنتظم ١٧٤/٧ .
- (١٥) تاريخ ابن خلدون ٤٨٦٤٧/٢ ، ٢٥-٢٤/٦ .
- (١٦) نفس المصدر ٢٨/٦ .
- (١٧) ابن خلدون ٢٥-٢٤/٦ ، ٦٣ .
- (١٨) يرد هذا الاسم في تاريخ ابن خلدون بصورتين ثلاث ، فتارة بني ابي الحسن (٦٤٨/٢) وتارة ابي الحسين الاصفر بن تغلب (٢٥/٦) واخرى بنو الاصفر بن تغلب (١٤٢/٦) ، وكذلك قلائد الجمان ، ١٢٠ ، ولا شك ان المقصود بهذا هو الاسرة العيونية التي تنحدر من احد بطون عبدالقيس اي ابناء محمد بن ابي الحسين بن عبدالله على العيوني . كما انه من المحتمل ان بني الحسن ربما قصد بهم اولاد ابي الحسن علي بن مسمار زعيم عبدالقيس الذي انتزع منه القرامطة القطيف . الا ان هذا الاحتمال الاخير ضعيف ، انظر محمد عبدالله العبد القادر ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم ، (الرياض ١٩٦٠) ٢٥٦/١ ، صفة جزيرة العرب ، ١٣٦ . اما اطلاق اسم بني الاصفر بن تغلب فهو نوع من التخليط ، اذ لا نعرف ظهور اسرة بالبحرين بهذا الاسم وكل ما نعرفه استنادا الى ما ذكره ابن الاثير ، بان زعيم المنتفق المسمى الاصفر قد قام بمهاجمة البحرين عام ٩٨٨/٣٧٨ ونهب القطيف ونظرا لانتشار بني المنتفق ما بين البصرة والبحرين وغموض تاريخ البحرين حدث هذا التداخل في الاسماء والاحداث . راجع الكامل ح ٧ (القاهرة ١٣٥٣) ١٣٩ . اما الاصفر التغلبي الذي ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٤٣٩ في رأس العين ، وجمع حوله اتباعا كثيرين وادعى بانه مرسل ، فقد تم انتهاء حركته هذا وقد ذكره ابن خلدون ايضا ١٩٦/٤ فلا نرى له أية صلة بالبحرين .
- (١٩) تاريخ ابن خلدون ٢٥-٢٤/٦ ، ٦٣ .
- (٢٠) انظر قلائد الجمان ، ١٢١ .
- (٢١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون (بيروت ١٩٦٨) ٩٦-١٩٥/٤ ، القلقشندي . نهاية الارب ٩٦٦ ، قارن ذلك مع ما ورد في طبعة بغداد ، ٣٣٨ ، انظر ايضا القلقشندي . قلائد الجمان ، ١١٩-١٢٠ .
- (٢٢) ابن خلدون ١٩٥/٤ .
- (٢٣) ابن الاثير ١٣٦/٧ : قارن ذلك بما جاء في ابن الجوزي ، المنتظم ١٧٠/٧ .
- (٢٤) ن . م ٦/٣٢٥ ، ٣٤٠ : ابن مسكويه ، (ت ٤٢١/، تجارب الامم) (القاهرة ، ١٩١٥) ح ١١٢/٢ ، ١٤٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم ٣٦٨/٦ .
- (٢٥) ن . م راجع ٦٥/٧ (حوادث ٣٨٤) ، ١٧٥ (حوادث ٣٨٥) ٢٢٤ (حوادث ٣٩٤) هذا وقد توفي الاصفر او الاصيفر المنتفقي عام ١٤٠٩ او عام ٤١٠ انظر الكامل ٣٠٣ : تاريخ هلال الصابي ، ذيل على تجارب الامم (القاهرة ، ١٩١٩) هامش ٣ ، ص ٤٠٩ .
- (٢٦) سفرمانه (بيروت ١٩٧٠) ، ١٤٥ : ترجمة يحي الخشاب .
- (٢٧) محمد بن خليفة النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (القاهرة ١٣٤٢ ط ٢) ٩٤-٩٣ . كذلك انظر ، تحفة المستفيد .
- (٢٨) التحفة النبهانية ، ٩٤-٩٥ ، تحفة المستفيد ، ٩٨/١ ، ١٠٠-٢٥٤ .

J.M. de Goeje, *Lafin de Empire des Carmathes des Bahrain*, J.A. 1895, IX Serie, 1-30 Quoted (٢٩ in Caskel, *Eine Unbekannte Dynastie in Arahien Oriens*, 2, 1949, 66-71, esp. 70.

ومما هو جدير بالذكر هنا ان عبدالفتاح الحلو الذي حقق ديوان ابن المقرب لم يطالع عند تحقيقه الديوان على مخطوطه دى غويه او على بحثه المذكور اعلاه . وحول نظام الحماية راجع .

CL. Cahen, art, "Himaya", El²

(٣٠) التحفة النبهانية ، ٩٨-٩٦ . تحفة المستفيد ، ١٠٠-٩٨/١ ، ٢٥٩-٢٦٠ حميد بن رزيق ، الفتح المبين ، (القاهرة ١٩٧٧) ٢٣٨-٣٩ .

(٣١) ن . م . وكذلك تحفة المستفيد ١٠١/١ ، ١٦١ ديوان ابن المقرب (القاهرة ١٩٦٣) هامش ص ٥٣٣ .
(٣٢) المصدر السابق (القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ب.ت) ١٥٣/٨ ومما هو جدير بالذكر هنا ان ابن الاثير قال بان الرجل الذي حرض زعيم بني عامر على مهاجمة البصرة قال له فيما قال (لقد فعل اجدادك بالحاج كذا وكذا وافعالهم مشهورة مذكورة في التواريخ . ان هذا لدليل على ان بني عامر في ظل القرامطة كانوا يقومون بهذا العمل راجع ايضا الذهبي/دول الاسلام (القاهرة ١٩٧٤) ١١/٢ .
ومما هو جدير بالذكر ان البرفيسور بوزورث قد وصف هؤلاء المهاجرين بانهم قرامطة البحرين . وهذا ما لم يقله ابن الاثير الذي كان مصدره في هذه الواقعة ، اذ ان القرامطة قد انتهى امرهم في تلك الجهات قبل هذا التاريخ . اما اذا كان بوزورث قد قصد بانهم كانوا على مذهب القرامطة فهو امر يصعب قبوله ايضا راجع .

c.e. Bosworth "The political dynastic history of the Iranians World, 1000-1217" PP.1-202, esp.99

in the Cambridge History of Iran, Vol.5. Cambridge, 1968

(٣٣) جزيرة العرب في نزهة المشتاق تحقيق ابراهيم شوكة ، م . المجمع العلمي العراقي م/٢١/١٩٧١ ص ٥٠ .

(٣٤) ديوان ابن المقرب ، ٦٤٦-٤٧ .

(٣٥) ديوان ابن المقرب ، ١١١-١١٢ ، هامش ص ٤٦٦-٤٧ انظر كذلك . Caskei, OP. Cit. 70 .

(٣٦) تاريخ ابن خلدون ٣/٥٣٠ الكامل ، ٢١٩/٩ : تحفة المستفيد ، ١٠٤ (٣٧)

Quoted in M.B. Rowton, *The Role of water Courses in the Growth of Mesopotamain Civilization*, *Alter Orient und Altes Testament*. Bd. 7. 1969, 307-16

(٣٨) ديوان ابن المقرب ، ٢٠٢ .

(٣٩) تحفة المستفيد ٢٦٨

(٤٠) نفس المصدر ١٠٧ ، ٢٦٩ .

(٤١) ن . م . ١٠٧-٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ .

(٤٢) ديوان ابن المقرب ٤٥٦-٤٦٥ .

(٤٣) ديوان ابن المقرب ٦٣٨-٣٩ : تحفة المستفيد ، ٣١٣ .

(٤٤) الكتيب طرف الاحساء الجنوبي ، والعيون طرفها الشمالي . المحاديث من ارض العيون وحلوان مكان بين الاحساء والقطيف .

(٤٥) الخط ، هي القطيف . صفوان طرفها الشمالي . الظهران طرفها الجنوبي .

(٤٦) وامض شيء ، اوجعه . المروزان وكرزكان قريتان في جزيرة أوال .

(٤٧) التحفة النبهانية ، ٩٨ ديوان ابن المقرب ، ٥٠٥ وللإطلاع على تفصيل اكثر راجع تحفة المستفيد ١٠١/١ ، ٩٨/١٠٨ ، ٢٥٣ .

(٤٨) صفة بلاد اليمن او تاريخ المستبصر ، ٣٠١ .

(٤٩) تحفة المستفيد ١١٢-١١٤ ، ديوان ابن المقرب ٦٣١-٦٤١ .

- ٥٠ تحفة المستفيد ١١٣ ، ١٨-١١٦ ، ٢٥٣ .
- ٥١ ن . م . ١١٨ .
- ٥٢ حول هذا المخطوط انظر تحفة المستفيد ملحق رقم ٣ ، ٢٥٠ - ٥٤ . خصوصا صفحة ٢٥٣ .
- ٥٣ ابن الجاور : صفة بلاد اليمن او تاريخ المستبصر ، (لیدن ١٩٥١) ص ٢٨٨ .
- ٥٤ حول حياة منجم باشي ومؤلفاته راجع .
- S.A. Hasan, Munejjim Bashi, Turkish Historian of the Sljugids of Iran, Islamic Studies, Vol.2, (1963) PP.457-66
- ٥٥ احمد افندي الملقب بمنجم باشي ، جامع الدول (مخطوط) ، ٤١٨ ، (المكتبة السليمانية) ، مجموعة اسعد افندي الرقم ٢١٠١ - الورقة ٦٤٧ .
- ٥٦ تحفته المستفيد (ملحق ٣) ٣٥٣ .
- ٥٧ وصاف الحضرة عبدالله بن فضل الله الشيرازي ، تاريخ وصاف المسمى تجزية الامصار وتجزية الاعصار (بوبي ١٢٦٩) اعيد طبعه في طهران ١٣٣٨ جلد دوم ، ١٧٩ .
- ٥٨ ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي - كتاب الجغرافيا - بيروت ، ١٩٧٠ ، ١٨ ، ١٣١ .
- ٥٩ تاريخ ابن خلدون ١٩٦/٤ - ٩٧ ، قلائد الجمال ، ٢٠ ، نهاية الأرب ١٠٦ .
- ٦٠ صبح الاعشي (القاهرة ١٩١٥) ٦٠/٥ .
- ٦١ تاريخ ابن خلدون ٢/٦٤٨/٤٩ ، ٢٥/٦ ، قلائد الجمال ١٢١٠ : نهاية الأرب ٣٣ .
- ٦٢ المصدر السابق ٢٥/٦ .
- ★ لقد استعمل الشيخ النبهاني تسمية الزنجيين لاتابكة فارس بدلا من الاسم الشائع في المصادر التاريخية وهو السلغريون نسبة لجدهم سلغر التركماني الذي كان حاجبا لسلطان السلاجقة في العراق طغرل الاول . ولقد تابع النبهاني في تسميته هذه من نقل عنه دون ادنى تمحيص . بل ان هذه التسمية قد ادت بالبعض من هؤلاء الى الوقوع في خطأ شنيع ، اذ تصوروا ان السلغريين هم من الزنج الذين كانوا قد ثاروا في جنوب العراق وحكموا البصرة في النصف الثاني من القرن الثالث / القرن التاسع .
- ٦٣ تحفة المستفيد (ملحق ٣) ٢٥٣ ، وصاف ، جلد اول ١٧٦ - ٧٧ قاضي احمد غفاري قزويني ، تاريخ جهان ارا (تهران ١٣٤٣ شمسي) ، ١٢٦ - ٢٧ ، ومن الجدير بالذكر ان القاضي غفاري قد ذكر اسم جمشيد كآخر ملوك بني قيصر وتابعه في ذلك منجم باشي الورقة ٦٤٦ ، وهذا يخالف ما ذكره وصاف الحضرة الذي لمعلوماته عن بني قيصر اهمية خاصة . لذا رجحنا روايته : عباس اقبال ، المصدر السابق ، ٣٣ انظر ايضا .
- Jean Aubin, Les Princes D'Ormuz Du XIII^e au XV^e Siecle, Journal Asiatique, Vol. 241 (1953), PP. 77-137, esp. 81.
- ٦٤ تحفة المستفيد ، ٢٥٣ ومن الجدير بالذكر هنا ان اسم امير هرموز يرد في المصادر بصور متعددة فنارة سيف الدين ابو المظفر ونارة ابو نصر ونارة اخرى ابو النظر او ابو النظر .
- ٦٥ اثار البلاد (بيروت ١٩٦٩) ٢٤٣ ، تاريخ جهان ارا ١٢٦-٢٧ ، جامع الدول ، ورقة ٦٤٦ ب - ٦٤٧ - عباس اقبال ٣٣-٣٤ .
- Audin, OP Cit. 18
- ومما هو جدير بالذكر هنا انه في عام ١٢٣٤/٣٥ - كان قد وصل بغداد كل من امير البحرين محمد بن محمد عن طريق البر ، وامير هرموز (ابو النظر) عن طريق نهر دجلة ومعهم عدد كبير من الاتباع . ولا بد ان يكون حضورهما لغرض الحصول على الدعم المادي والادبي من الخليفة المستنصر ضد الاتابك ابو بكر السلغري وضد العصفوريين راجع ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، القاهرة ١٣٢٩ ، مجلد ٤ ص ٤١ .
- ٦٦ تحفة المستفيد ٢٥٣-٢٥٤ .

٦٧) تحفة المستفيد ٣٥٤ . وصاف جلد دوم ١٧٩ ، عباس اقبال ٣٤-٣٥ ، التحفة النبهانية ، ٩٩-١٠٠ راجع ايضا .

Rwntz & Mulligan art, "al-Bahrain", El², Aubin, Op. Cit, 81

٦٨) وصاف ، ١٧٩ .

٦٩) Ata-Malik Juvaini, The history of the World Conqueror, Translated by J.A. Boyle (Manchester 1958), Vol. 1, 234,

وايضا ، منح باشيء المصدر السابق ورقة ٦٤٧

٧٠) وصاف ، جلد دوم ، ١٧٩ .

٧١) وصاف ، جلد دوم ، ١٧٩ ، تاريخ جهان ارا ، ١٢٦ - ٢٧ جامع الدول ، ورقة ٦٤٦ - ٤٧ ، عباس اقبال ، ٣٥ . لقد ذكر رنر بان عام ١٢٥٣/٥١ هو تاريخ انسحاب السلفريين من جزيرة البحرين واستقلال العصفوريين بها وهو بذلك يكون قد اعتمد على مارواه لبن سعيد المغربي . راجع "al-Bahrain" art El²

٧٢) راجع رواية ابن خلدون في السابقة .

٧٣) حمد الله مستوفي قزويني ، تاريخ كزيده نشرة براون (لندن ١٩١٠) ، ٥٠٧ ، حاجي خليفة (كاتب جلبي) فذلكه اقوال الاخبار في علم التاريخ والاخبار . مكتبة بايزيد ، مخطوط رقم (١٠٣١٨) ورقة ١٣٨ .

٧٤) حول النقود في الخليج العربي ، في العصر الوسيط راجع :

Nicholas M. Lowick, Trade Patterns on the Persian Gulf in the light of Recent Coin Evidence" in Near Eastern Numismatic, Iconography, Epigraphy and History, ed Dickrank Kouy mijian—319-33, (Beirut 1974)

٧٥) للاطلاع على الدراسات الحديثة المتعلقة بال فضل .

د. جعفر خصبك ، المصدر السابق ، ١٦٨ - ٧٧ ، د. محمد صالح القزاز . الحياة السياسية الجديدة في العراق في عهد السيطرة المغولية (النجف ١٩٧٠) ٣٢٦ - ٥٤٣ د. مصطفى الحباري . الامارة الطائفة في بلاد الشام (عمان ، ١٩٧٧) واخيرا فايد حمادي ، عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى (القاهرة ١٩٧٦) .

٧٦) نهاية الارب ، ١٠٦ .

٧٧) محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢/١٢٩٣) تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور (القاهرة ١٩٦١ ، ١١١ .

Yajima, The Arab Dhaw Trade, 12

٧٨

Pani-nan Rashid Wa,

٧٩

The Fall of Baghdad and the Mongol Rule in Al-Iraq, 1258-1335 Unpublished Disertation for Ph. D. Univ. of Utah 1974, 133-34

لقد اعتمد المؤلف الصيني رشيد وو كثيرا على كتاب الاستاذ جعفر خصبك ونقل عنه معظم افكاره وسائره في تبويب اطروحة . الا انه مما يميز هذه الاطروحة ان المؤلف قد استعمل المصادر الصينية في كتابه تاريخ العراق واثار قضايا كثيرة كانت حتى الان من القضايا المسلم بها . وقد رفض الفكرة القائلة بان المغول قد دمروا الاقتصاد العراقي وموارده ومنها مشاريع الري والتجارة الخارجية . وفي مكتبتي نسخة مصورة من هذه الاطروحة .

٨٠) المقريري (ت ٨٤٥/١٤٤١) السلوك في معرفة دول الملوك (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ٧٤٢/١ .

Subhl Labib "Egyptian Commercial Policy in the Middle Age" in Studies in the Economic History of the Middle East, ed. M.A. Cook, (London, 1970), 63-77, esp. 69.

- ٨١ (ابوالفدا ، المختصر في اخبار البشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ٨١/٤ وابن عنبه ، عمدة الطالب في انساب ابي طالب ، النجف ١٩٦١ ، ١٤٣ - ٤٤٤ المقرئزي ، السلوك ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، ٥٣٣/٢ .
- ٨٢ (المختصر في اخبار البشر ، ٨٣/٤ - ٤
- ٨٣ (المقرئزي ، السلوك ، ٢١٤/١ - ١٥
- ٨٤ (عن القلقشندي ، نهاية الارب ، ١٠٦ ، تحفة المستفيد ، ١١٩ . ومن الجدير بالذكر هنا ان السيد نوري عبدالحميد العاني قد خلط بين زعيم المنتفق مانع بن شبيب وبين زعيم بني عامر مانع بن عصفور لذا فقد فسر قول العمري « بان الامر في أولاد مانع على ان المقصود به مانع شيخ المنتفق وبانه اشارة الى حكام البصرة وهذا خطأ واضح . راجع العراق في العهد الجاليري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٧٦ .
- ٨٥ (ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة القاهرة ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٨/٥ .
- ٨٦ (ن.م. القاهرة ، ١٩٦٦ ، ٣٥٤/٣
- ٨٧ (المهمندا ، كلمة فارسية الاصل تتكون من مقطعين الاول مهمن ومعناها الضيف ، والثاني داروتعني الشخص الذي يستقبل الضيف .
- ٨٨ (راجع حول ذلك ، صبح الاعشى ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ٤٤٧/٥ - ٤٨ ، ٣٧٠/٧ - ٧١
- ٨٩ (الذهبي والحسيني ، من ذيل العبر ، (الكويت ، ١٩٧٠) ، ٣٠٢ وكذلك راجع عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٣ الملحق ص٣٩ ، والعزاوي ينقل ما أورده ، عن ابن قاضي شهبه .
- ٩٠ (تور انشاء توفي ما بين عام ١٣٧٠/٧٧٢ وعام ١٣٧٧/٧٧٩ وكان قد تولى الحكم عام ١٣٤٧/٧٤٧ ويرى او بين انه الف كتابه «الشاهنامه» بعد عام ١٣٥٠/٧٥١ . هذا وقد قام الرحالة البرتغالي الشهير تكسيرا بترجمته باختصار الى البرتغالية في النصف الاول من القرن السابع عشر وعن هذه الترجمة قام وليم سنكلير بترجمته مع رحلة تكسيرا الى اللغة الانكليزية وجعل الشاهنامه ملحقا للرحلة وعلى هذه الترجمة كان اعتمادنا وقد أشرنا اليها تحت تكسيرا . وعنوان الرحلة مع الشاهنامه هي :
The Travels of Pedro Teixeira, with "His Kings of Harmuz" Translated by W.F. Sinclair, (London, 1902).
- ٩١ (حميد بن رزيق (١٢٩١/١٨٧٤) ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين ، تحقيق عبدالمنعم عامر ومحمد موسى . (منشورات وزارة التراث القومي العماني) ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ٢٤٧ - ٤٨ .
- ٩٢ (J. C. Wilkinson, art, "Kathat" El₂
- ٩٣ (لعل عبارة تزوين الواردة في النص ما هي الا تحريف لاسم جزيرة تاروت او دارين اذ لا يوجد في ساحل الخليج العربي مكان باسم تزوين .
- ٩٤ (محمد بن علي الشبانكاري ، مقتطفات من مجمع الانساب المتعلقة بهرموز نشرة او بين الملحق لبحثه باللغة الفرنسية ، الذي سبق وان اشرنا اليه مرارا راجع Aubin, 129-37, esp. 130 معين الدين نطنزي . منتخب التواريخ معين ، تحقيق او بين تهران ، ١٣٣٥ شمسي) ١١ - ١٢ .
- ٩٥ (Aubin, 85 عباس اقبال ، ٣٦ .
- ٩٦ (التحفة النبهانية ، ١٠٠ - ١٠١ .
- ٩٧ (علي بن الحسن الخزرجي ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، القاهرة ، ١٩١٤ . ٢١١/١ - ١٣
- ٩٨ (للاطلاع على ترجمة مقتضبة عن حياته انظر ، الذهبي ، من ذيل العبر للذهبي والحسيني . الكويت ، ١٩٧٠ ، ٣٥ (حوادث ٧٠٦) ايضا انظر ، ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة . القاهرة ، ١٩٦٦ ، ط٢ ج٢ - ٦١ .
- ٩٩ (وصاب ، ٢٦٨ ، عباس اقبال ، ٣٧ ، Cit, 89-90 Aubin, Op.
- ١٠٠ (للاطلاع على عرض شامل لتطور انواع الاقطاع في العصور الاسلامية المختلفة . راجع البحث القيم لكاهين . CL. Cahen, art, "Ikta" El₂

- (١٠١) وصاف ، ٣٣١ - ٣٢٢ ، Aubin, 93
- (١٠٢) وصاف ، ٣٠٢ - ٣٠٣ ، Dublin, 90
- (١٠٣) Aubin, 97
- (١٠٤) مجمع الانساب ، ١٣٣ ، Aubin, 100
- (١٠٥) مجمع الانساب ، ١٣٣ منتخب التواريخ معيني ، ١٥ - ١٦
- (١٠٦) مجمع الانساب ، ١٣٤ - ٣٦ ، منتخب التواريخ معيني ، ١٦ - ١٧ عباس اقبال ٤٢ .
- B-Spuler, Die Mongolin in Iran, (Berlin, 1955), 151; Teixeira, 173-81.
- (١٠٧) رحلة ابن بطوطة ، (القاهرة ، ١٩٦٤) ، ١٤٦/١ .
- (١٠٨) Hamd-allh, Mustawfi of Qazwin, The Geographical part of the Nuzhat-al-Qulub, (1919), 135. Translated by G. Le Strange, (Leyden, 1919), 135.
- (١٠٩) اصبح الاعشى - القاهرة ، ١٩١٥ ، ٣٧٠/٧ .
- (١١٠) G. Rentz, art, "al-Katif" EP. , ١٧٧/١ .
- (١١١) N.M. Lowick Op. Cit 324 - 30
- (١١٢) عباس اقبال ، ٤٢ - ٤٤ ،
- Spuler, Op. Cit, 151-52. Teixeira, 181-85:
- (١١٣) رحلة ابن بطوطة ، ١٧٤/١ - ٧٥
- (١١٤) عن القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣٧١/٧
- (١١٥) Aubin, 109; Spuler, 152; Teixeira, 186-82, 265. Abbas aقبال ٤٤ - ٤٥ .
- (١١٦) منتخب التواريخ معيني ، ١٨ . مما هو جدير بالذكر هنا ان نطنزي ينفر ذكر اسم يوسف شاه بدلا من تورانشاه ، حيث لا يشير الى هذا الاسم . وربما يكون قد أخطأ في ذلك أو انه احد الاسماء المعروفة بها تورانشاه هو يوسف شاه . راجع ايضا . جامع الدول ، ٤٠٢/٢ - ٤٠٤ (م. بايزيد) .
- (١١٧) التحفة النبهانية ، ١٠١ - ١٠٣ Teixeira, 188
- (١١٨) نظام الدين شامي - ظفر نامه مع اضافات وشروح من كتاب زبدة التواريخ بايسنقري لحافظ ابرو ، تحقيق فلکس تاور ، بيروت ١٩٣٧ ، جلد اول ، ١٦٨ ، شرف الدين علي يزدي ، ظفر نامه ، تهران ، ب. ت ، جلد اول ، ٥٧٧ - ٧٨ . منتخب التواريخ معيني . ١٩ جامع الدول ، ٤٠٤ . راجع ايضا ، Aubin, 111-14
- (١١٩) لقد اختلفت المصادر كثيرا في رسم الاسم الثلاثي لصالح فورد بالاشكال التالية ابن حيلان أو جولان أو جولان واخيرا ابن صيلان . ولقد فضلنا استعمال اسم جولان لاعتقادنا بان ذلك ليس اسما لوالده أو لقبا حقيقيا له وانما هو وصف فارسي له مصدره كلمة جول الفارسية التي تعني الصحراء فقيل له جولان اي البدوي .
- (١٢٠) ابن الفرات (ت ٨٠٧/١٤٠٤) ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين بيروت ١٩٣٨ ، ج ٢ ، ٣٤٧ - ٤٨ . ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، القاهرة ١٩٦٩ ، ٤٥٣/١ ، وابن صصري ، كتاب الدرّة المضيئة في الدولة الظاهرية ، تحقيق وليم م. بريز ، بركلي - كاليفورنيا ، ١٩٦٣ ، ٨٧١/٢ ، الصيرفي ، انباء الهصر ، القاهرة ١٩٧٠ ، ٣٦٦/١ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢٦١/١٢ ، ابن اياس . بدائع الزهور ، بولاق ١٣١١ ، ٣٠١ - ٣٠٠/١ ، عباس العزاوي ، العراق بين احتلالين ، بغداد ١٩٣٦ ، ٢١١/٢
- ومما هو جدير بالذكر ان ابن خلدون عند حديثه عن قبيلة عبادة وبعد ان حدد موطن سكانهم في البطائع ما بين البصرة والكوفة وواسط قال بان الامارة فيهم على ما يبلغنا لرجل اسمه قباب بن صالح وهو في عدد ومنعة ويفهم من عبارات ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥ - ٦) « لهذا العهد » وعلى « ما يبلغنا » ان ذلك كان وضع وقبيلة عبادة عندما كتب تاريخه . وهذا الامر يحتملنا على القول بان قبان

هذا من الممكن ان يكون ابن صالح بن جولان وانه خلف والده في الزعامة . وان اصح ما ذهبنا اليه فيكون صالح بن جولان ما هو الا زعيم بني عبادة وانه اصبح حاكما للبصرة ، ثم منها مدى نفوذه الى البحرين وبذلك يكون قد ضم كافة بطون عقيل في هذه المنطقة تحت زعامته . راجع تاريخ ابن خلدون ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢٥/٦ .

(١٢١) السخاوي ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، القاهرة ، ١٣٥٣ - ١٣٥٥ ، ١٧٥/٦ ، ١٧٣/١٠ ، كذلك انظر ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ١٠٣/٣ .

(١٢٢) Quoted in Aubin, 115 وراجع ايضا Teixeira, 245

(١٢٣) جامع الدول ، ٤٠٤/٢ (م. بايزيد) .

(١٢٤) جامع الدول ، ٤٠٤/٢ .

(١٢٥) مثال على تلك الدراسات ، ابحاث روتون Rowton والتي سبق ذكرها ، كذلك دراسات روزنفيلد التي تناول بها التحولات الاجتماعية التي رافقت تكوين امارة ابن رشيد وهي :

Henry Rosen Feld;

The Social Composition of the Military in Process of State Formation in the Arahian Desert, Part I & II, the J. of the Royal Anthropological Institute of G. Britain & Ireland, Vol.95, 1965 75-86 & 174-94.

ثم دراسة الشعفي حول التنظيم العسكري للدولة السعودية الاولى تحت عنوان :

M.El-Shaafy, The Military Organisation of the First Sa'udi State, The Annual of Leeds University Oriental Society, Vol. VIII, 1969-73, PP.61-74.

واخيرا دراسة لينهارت Lienharat حول سلطة الشيوخ في الخليج العربي التي سبق الاشارة اليها .

(١٢٦) نهاية الارب ، ١٠٦ - ١٠٧ ، وصبح الاعشى ، ٣٧٠/٧ - ٧١ .

(١٢٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣٧٠/٧ - ٧١

(١٢٨) الدرر الكامنة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ٧٥/١

(١٢٩) رحلة ابن بطوطة ١٣٩/١ ، وعمدة الطالب ، ١٤٦ - ٤٨ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ٢٣٥/٤ .

(١٣٠) عمدة الطالب ، ١٤٩ .

(١٣١) سمط النجوم العوالي ، ٣٦٨/٤ - ٦٩

(١٣٢) تحفة المستفيد ، ١١٩/١

(١٣٣) ملح ، ذكرها ياقوت بأنها في بلاد البحرين ، أما محمد العبد القادر (التحفة ، ٢٨) فيرى بأنها قرية عامر قريبة من الكويت . اما اذا كان الشاعر قد قصد بها ملح ، فان ياقوت ذكرها بأنها ناحية من نواحي الحساء وهي قرب انطاخ .

انطاخ او نطاخ ، قال عنها ياقوت بأنها وادي ونخيل بين البحرين والبصرة ،

متالع ، جبل بناحية البحرين بين الودة والحساء ، وفي سطح هذا الجبل عين ماء يقال لها عين متالع . القرعاء ، وربما هي القرعاء ، قرية من قرى الحساء وقد تكون هي الجرعاء القديمة ، الميناء المعروف من عصر ما قبل الاسلام ، والتي حلت محل العقير . وقد ذكر الهمداني بان الجرعاء سوق في الحساء على كتيب يسمى الجرعاء (صفة جزيرة العرب ، ٢٨١) . حول تحديد مواقع هذه الاماكن راجع تحفة المستفيد ، ٢٣ ، ٢٧ - ٢٩ .

(١٣٤) عمدة الطالب ، النجف ١٣٦١/١٣٨٠ ، ط٢ ، ١١٦ .

(١٣٥) الضوء اللامع ، ٢٥٦/٩ - ٢٥٧ .